

التعويق زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

رانيا أسامة على فكري

مدرس بقسم الإرشاد السياحي - كلية الآداب - جامعة عين شمس

r_usama75@yahoo.fr

المُلخَص:

حظيت مصطلحات العصر المملوكي بقسط لا بأس به من اهتمام مؤرخي الحضارة الإسلامية، ولم ينل مصطلح التعويق قدرًا من دراساتهم، لذا وقع على عاتق الباحث دراسة هذا المصطلح في العصر المملوكي، والذي يعتمد على إبراز معانيه المختلفة والأسباب التي دفعت الدولة لتطبيقه كذلك النتائج المترتبة عليه. وتنقسم تلك الدراسة إلى العديد من النقاط الهامة تتعلق بتعريف التعويق لغة واصطلاحًا وتناول معانيه الثلاثة: الأول بمعنى الحبس المؤقت وأوجه التشابه والاختلاف بينه وبين العقوبات السالبة للحرية المعروفة زمن سلاطين المماليك، الثاني بمعنى التأخير أو التعطيل والثالث بمعنى المنع. هذا وقد تضمنت الدراسة جدولًا يلخص حالات التعويق التي شهدتها العصر المملوكي موضحًا فيه زمن وقوعها وأسبابها وتحديد الأماكن التي شهدت تطبيقه والإجراءات المصاحبة له. وختامًا دراسة تحليلية لوقائع التعويق في ضوء الوقائع التاريخية الدالة على المعاني السابقة ووفقًا للمصادر المملوكية.

الكلمات الدالة: التعويق، الحبس، العقوبات، السجن، الحرية، العصر المملوكي.

Abstract:

Incarceration during the Mamluk period (648-923 A.H/ 1250-1517 A.D)

**Rania Ossama Ali Fikri
Faculty of Arts, Ain Sham University**

Although the care was given by the historians of Islamic civilization to study the Mamluk terms, the term of incarceration was not studied appropriately. As a result, the researcher will focus on that term, its different meanings, the reasons that led to sentence incarceration, and finally, the results the researcher deducted. The study is divided into a few relevant points to the term incarceration linguistically and idiomatically as it has different meanings; first in the meaning of temporary confine in addition to the similarities and differences between this and the known punishments that restrain freedom. The second in terms of delay or the third that means prevention. The study was appended by a table that summarizes the cases of incarceration during the Mamluk period. It shows time of the incarceration, its reasons; the places at which they were sentenced and the procedures accompanied them. Finally, the study presents the conclusion that comprises analyzed study of the incarceration in accordance with Mamluk sources and historical incidents.

Key words: Incarceration, punishments, freedom, Mamluk period.

المقدمة:

تزخر المصادر المملوكية بكثير من المصطلحات التي لفتت انتباه الدارسين المحدثين فعكفوا على دراستها نقدًا وتحليلًا، وحسبنا من تلك المصطلحات التي لم يسلط عليها الضوء مصطلح التعويق الذي لم تمتد له أيدي الباحثين بالدراسة، فأمست الحاجة ملحة إلى دراسته وإبراز معانيه المختلفة، والأسباب والظروف التي دفعت الدولة إلى اللجوء إليه، إضافة إلى النتائج المترتبة على تطبيقه في العصر المملوكي.

بادئ ذي بدء ورد مصطلح التعويق في المصادر المملوكية عند عزل بعض الخلفاء والسلاطين والأمراء. وبالرغم من تكرار هذا اللفظ كثيرًا بين ثنايا هذه المصادر، إلا أن أغلبها كان يحمل معنى واحدًا هو الحبس المؤقت ومنع التقدم، وخلاف ذلك تعد إشارات بسيطة ومن هنا أرادت الباحثة أن تلقي الضوء بشكل واف على المصطلح بمختلف معانيه في شتى ربوع الدولة المملوكية.

وقع على الباحثة - في ظل تفرق المادة العلمية في بطون المصادر - اللجوء إلى المنهج الاستقرائي القائم على استنتاج تلك النصوص وفق منهجية تحليلية، بالإضافة إلى المنهج الوصفي وتحليل المضمون، فضلًا عن المنهج الإحصائي؛ لما للأرقام من دلالات تساعد على تفسير ظواهر هذه الأحداث.

وقد قُسمت هذه الدراسة إلى عدة نقاط تتعلق بتعريف التعويق لغةً واصطلاحًا وتناول المرادفات المختلفة لهذا المصطلح في أرجاء الدولة المملوكية، ثم دراسة وقائع التعويق المختلفة وتحديد العلاقة بين العائق والمعوق وأماكن التعويق والإجراءات المصاحبة لتطبيقه وختامًا دراسة تحليلية لمعرفة الأسباب المختلفة التي أدت إلى وجود هذا المصطلح وتوضيح أوجه التشابه والاختلاف بينه وبين العقوبات السالبة للحرية في العصر المملوكي.

التعويق لغة:

العوق يعني الحبس والصراف ويقال عاقه عن كذا يعوقه إذا حبسه وصرفه وأصل عَاقَ عَوَقَ ثم نُقِلَ من فَعَلَ إلى فَعُلَ ثم قلبت الواو في فَعُلْتُ أَلْفًا فصارت عَاقَتْ فالتقي ساكنان: العين المعتلة المقلوبة أَلْفًا ولام الفعل فحذفت العين لالتقاءهما فصار التقدير عَعْتُ ثم نقلت الضمة إلى الفاء قبل القلب فَعُلْتُ فصار عَعْتُ. والعوق أيضًا التثبيط كالتعويق والاعتياق^(١).

التعويق اصطلاحًا:

ورد مصطلح التعويق في المصادر المملوكية بثلاثة معاني: الأول بمعني حبس، والثاني بمعنى تعطيل أو تأخير، والثالث بمعنى منع. وفيما يلي الوقائع التاريخية الدالة على المعاني السابقة وفقًا للمصادر المملوكية.

(١) بطرس البستاني، كتاب محيط المحيط (بيروت: مكتبة لبنان، ١٨٦٧)، ٤٩٩-٥٠٠؛ محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ج. ١٠ (بيروت: دار صادر، ١٩٥٦)، ٢٨٠-٢٧٩؛ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط، ط. ٢ (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٧)، ١١٧٩؛ مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج. ٢٦، تحقيق عبد الكريم العزايوي (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٩٠)، ٢٢٤-٢٢٥؛ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج. ٢، ط. ١ (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨)، ١٥٧٧.

أولاً: التعويق بمعنى الحبس

يُعدُّ الحبس هنا حبساً مؤقتاً لفترة غير محددة، تفاوتت مدتها من حالة لأخرى وهو يختلف بالقطع عن السجن من حيث الإجراءات السابقة لكليهما وكذلك نمط الحياة لكل منهما. وتفيض المصادر المملوكية بالوقائع التي تؤكد هذا المعنى إذ تعود أولى وقائع هذا النوع من التعويق لسنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م عندما قبض قطز على السلطان الملك المنصور على بن المعز أيبك وعوقه، ثم اعتقله ووالدته بالدور السلطانية بقلعة الجبل^(١)، وخلعه من السلطنة، وجلس على تخت الحكم بدلاً منه، ولقب بالملك المظفر سيف الدين، وحلف الأمراء والناس له يوم السبت ١٣ ذو القعدة ٦٥٧هـ/ ٥ نوفمبر ١٢٥٩م^(٢). والتعويق في الحالة السابقة أشبه ما يكون بتحديد الإقامة أي وضع الشخص المستهدف قيد الإقامة الجبرية وهي إحدى العقوبات السالبة للحرية وتعني أن السلطان يصدر أمره لأحد الأشخاص بأن يلزم داره أو مكان ما يقع تحت إشراف الدولة دون أن يكون له الحق في المشاركة في الحياة السياسية أو العامة، وهو قطعاً نوعاً من أنواع الحجر على حرية الإنسان في أن يحيا حياة طبيعية وهي عقوبة احترازية أكثر منها تأديبية. كما نستنتج من الواقعة السابقة أن مكان التعويق تناسب مع المكانة السياسية للشخص المعوق من حيث توفير مكان آمن وتوفير سبل الحياة الكريمة مع منعه من المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية.

ويبدو أن التعويق بمعنى الحبس استخدم أيضاً كوسيلة تأديبية إذ كان عاقبة الأمراء الذين ارتبطت أسماؤهم بأشياء لا ترضي السلاطين. إذ يشير بن الفرات إلى وفاة الأمير الكبير عز الدين الركني الظاهري المعروف بسم الموت^(٣) يوم الأربعاء ٧ جمادى الآخرة ٦٧٥هـ/ ١٦ نوفمبر ١٢٧٦م بالسجن بقلعة الجبل بعد تعويقه مدة خمس سنوات لأن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري كان قد بلغه عنه أشياء غير مرضية وأكدها ما نقل عنه نوبة حصن الأكراد فأعاقه^(٤).

(١) قلعة الجبل هي مقر السلطان ودار مملكته. بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش للسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والفسطاط، وما يليه من القرافة المتصلة بعمارة القاهرة والقرافة. وكان موضعها قبل أن تبني مساجد من بناء الفاطميين. أبو العباس أحمد الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج. ٣ (القاهرة: دار الكتب، ١٩١٨)، ٣٧٢.

(٢) كانت مدة الملك المنصور على في السلطنة بالديار المصرية سنتين وسبعة أشهر واثنتين وعشرين يوماً وظل معتقلاً إلى أن تولى السلطان الظاهر بيبرس البندقداري فنفاه هو ووالدته وأخاه ناصر الدين قاقان إلى بلاد الأشكري ويقصد بها الدولة البيزنطية وصاحبها تيودور بن الأسكريس الثاني وذلك في ذي القعدة ٦٥٨هـ/ أكتوبر ١٢٦٠م. جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج. ٧، ط. ٢ (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، ٢٠٠٦)، ٥٥-٥٦.

(٣) أطلق هذا اللقب على الأمير عز الدين أيغان بن عبدالله الركني، وأصله من مماليك ركن الدين بيبرس، وقد أطلق عليه هذا اللقب لحسارته وفتوته وسرعة إنقضاضه على العدو، وكان من أعيان الأمراء وأكابرهم وشجعانهم، كما كان من أبطال المسلمين ومشاهيرهم، وله المكانة العظيمة والحرمة الوافرة والكلمة المسموعة في عهد الظاهر بيبرس، الذي اعتمد عليه في المهمات، وقد تولى مقدمة العساكر، ولكن ما لبث أن قبض عليه السلطان الظاهر بيبرس مع عدد من الأمراء وسجنوا بالقلعة وتوفي في سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م وكان أحد الموصوفين بالشجاعة والكرم مع شدة البأس. محاسن محمد على الوقاد، "الألقاب والكنى الشعبية الساخرة في عصر سلاطين المماليك" ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، ع. ٢ (القاهرة: ٢٠٠٢)، ١١٨-١١٩.

(٤) عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٩)، ٢١٩.

والجدير بالذكر هنا أن دور بعض الأمراء شهدت بعض حالات التعويق التي استهدفت تأديب بعض كبار الأمراء حفاظاً على مكانتهم الاجتماعية والسياسية. فقد أشار ابن الفرات في تاريخه إلى عزل السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون للصاحب برهان الدين الخضر السنجاري^(١) عن وزارته بالديار المصرية وذلك يوم الثلاثاء ٢٩ رمضان ٦٧٨هـ / ٥ فبراير ١٢٨٠م، إذ أُلقي القبض على صاحب شمس الدين عيسى بن صاحب برهان الدين السنجاري^(٢) ويات صاحب برهان الدين وولده في دار علم الدين الشجاعي وأخذت خيولهما وخيول أتباعهما واستمر في التعويق أياماً وقبض على حجابهما وخدامهما وتمت مطالبتهما بما أخذاً من نقد وغيره ومصادرة^(٣) مائتا ألف وستة وثلاثون ألفاً^(٤).

والحقيقة أن التعويق لم يكن عقوبة لجأت إليها الدولة ممثلة في سلاطينها ضد كبار الأمراء فحسب، بل امتدت أيضاً لتشمل بعض الشيوخ وعلماء الدين نظير تجاوزاتهم. وتطبيق التعويق في هذه الحالات كان وسيلة تأديبية لجأت إليها الدولة لإعادة السلم ووَأد نار الفتنة الطائفية بين أبناء الوطن الواحد. إذ يروي المقرئ نقل الشيخ عبد الغفار بن نوح القوسي^(٥) عند وفاته يوم الجمعة ٧ ذو القعدة ٧٠٨هـ / ١٨ أبريل ١٣٠٩م من قوص إلى القاهرة

(١) الأمير برهان الدين الخضر بن الحسن السنجاري تولى الوزارة مرتين: الأولى في آخر ذو القعدة ٦٧٧هـ / أبريل ١٢٧٩م وعزل في شوال ٦٧٨هـ / فبراير ١٢٨٠م ثم تولاه للمرة الثانية في آخر جمادى الآخرة ٦٧٩هـ / أكتوبر ١٢٨٠م وعزل من جديد في ربيع الأول ٦٨٠هـ / يوليو ١٢٨١م وتوفي في سنة ٦٧٨هـ / ١٢٨٠م عن عمر يناهز ٧٠ عاماً. فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي، تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكين سويلبة (دمشق: منشورات المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٧٤)، ٨٩-٩٠، رقم ١٠٥؛

Ahmad Abd AR-Râziq, "Le vizirat et les vizirs au temps des mamluks", AnIsl, Le Caire, XVI (1980: 190-191, n°8,10.

(٢) صاحب شمس الدين عيسى ناب عن أبيه في الوزارة في أول الدولة المنصورية ثم عزل وولي نظر الأعباس في خانقاه سعيد السعداء ثم درس في مدرسة زين النجار مدة ثم قبض عليه وامتنحن محنة شديدة وأفرج عنه وبقي بطالاً في منزله بالمدرسة المعزية إلى أن مات في محرم ٦٨٢هـ / أبريل ١٢٨٣م؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (لبنان: ٢٠٠٠)، ١١٨-١١٩، رقم ١١٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج. ٢٣، تحقيق تركي مصطفى وأحمد الأرنؤوط (لبنان: دار إحياء التراث - بيروت، ٢٠٠١)، ١٣٤، رقم ١٧٠.

(٣) المصادرة وهي مشتقة من اللفظ الروماني وتتكون من مقطعين *con* وتعني بواسطة و*Fiseus* تعني السلة التي يضع فيها أباطرة الرومان ثرواتهم والتي رمزت بمرور الوقت إلى خزائنة الدولة والمصادرة في القانون تعني نزع ملكية المال بالقوة وبالجزير من مالكة وإضافته إلى مال الدولة بغير مقابل. محمد بهجت مختار عصفور، المصادرة في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر المماليك (القاهرة، ١٩٩٠)، ٣-٥؛ البيومي إسماعيل الشربيني، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك)، ج. ١ (القاهرة: ١٩٩٧)، ٢٢-٢٣.

(٤) الجدير بالذكر أن ابن الفرات لم يذكر على وجه التحديد نوع الوحدة النقدية التي تم الدفع بها. ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين رزيق، ج. ٧ (بيروت: المطبعة الأمريكية، ١٩٤٢)، ١٥٦.

(٥) الشيخ عبد الغفار بن أحمد بن عبد الحميد الدوري المتحد، الأقصري المولد، القوسي الدار. اشتهر الشيخ نوح بكتابه "الوحيد في التوحيد". وقد تجرد هذا الشيخ من أمور الدنيا. وله كرامات وقدرة على الكلام والشعر الحسن. وله بظاهر قوص رباط كبير. وكان النصراني بقوص قد أحضروا مرسوماً بفتح الكنائس ونسب إليه تحريض الناس على هدم ثلاث عشرة كنيسة بقوص فصدر الأمر بإحضاره إلى القاهرة وإقامته فيها وعدم عودته للصعيد مرة أخرى حتى مات في ذو القعدة ٧٠٨هـ / أبريل ١٣٠٩م؛ كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي، الطالع الصعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦)، ٣٢٣-٣٢٧، رقم ٢٥٠.

بسبب قيامه بهدم الكنائس حتى هدم العامة من قوص ثلاث عشرة كنيسة فعوق بالمسجد أياماً ثم أفرج عنه وأقام بجامع عمرو بن العاص حتى مات^(١).

كما لجأ بعض السلاطين إلى تطبيق التعويق بوصفه وسيلة من وسائل الضغط لإجبار أحد الأمراء على الامتثال لأوامر السلطان. إذ قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون في رمضان ٧٠٩هـ / فبراير ١٣١٠م بتعويق أسندمر كرجي عنده ثم جهزه السلطان لإحضار الملك المظفر بيبرس الجاشنكير مقيداً^(٢).

وفي أحيان أخرى اقترن التعويق بالعزل من الوظيفة إمعاناً في تغليظ العقوبة مثلما حدث يوم الأحد ١٢ شوال ٧٠٩هـ / ١٤ مارس ١٣١٠م، عندما استقر فخر الدين عمر بن الخليفي في الوزارة وصرف ضياء الدين أبو بكر النشائي^(٣) وعوق بالقلعة أياماً ثم أفرج عنه دون أن تمس أمواله^(٤).

وقد يصاحب التعويق أحياناً فرض أموال مثلما حدث عند إلقاء القبض على الصاحب أمين الدين عبدالله ابن الغنام^(٥) وعلي التاج عبد الرحمن الطويل في ٦ شوال ٧١١هـ / ١٥ فبراير ١٣١٢م وقرر السلطان عليهما مآلاً فدفعا وهما معوقان بالقلعة من دون أن يعين أحداً^(٦).

زد على ذلك أن التعويق كان إجراءً معمولاً به في كافة أرجاء الدولة المملوكية. إذ تكرر الأمر ذاته في العام السابق نفسه-٧١١هـ / ١٣١٢- عند عزل الصاحب عز الدين حمزة القلانص وزير دمشق وعوق حتى دفع أربعين ألف دينار ثم أفرج عنه وقدم القاهرة فأنعم عليه السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأمر برد ما دفعه فعاد إلى دمشق واستعاده^(٧).

وكما عرف الوزراء والشيوخ التعويق عرفه أيضاً المماليك كعقوبة تأديبية رادعة جزاء تجاوزهم واستخفافهم بالسلطان إذ قبض على جماعة من المماليك في جمادي الثاني ٧٢٣هـ / يونيو ١٣٢٣م وعوقوا بسبب ورقة وجدت

(١) تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج. ٢، ق. ١، تحقيق محمد مصطفى زيادة (القاهرة: ١٩٤١)، ٥٠.

(٢) المقرئ، السلوك، ج. ٢، ق. ١، ٧٦.

(٣) ضياء الدين أبو بكر النشائي تولى الوزارة في محرم ٧٠٦هـ / يوليو ١٣٠٦م وصرف عنها في شوال ٧٠٩هـ / مارس ١٣١٠م. وتوفي في سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م. شمس الدين محمد بن عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج. ١١ (القاهرة: دار الجيل - بيروت (تصوير عن مكتبة القدسي): ١٩٣٥)، ٢٣٠؛

Ahmad Abd AR-Râziq, "Le vizirat", AnIsl, XVI, 196-197, n°28.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج. ٨، ٢٧٣.

(٥) أمين الدين أبو سعيد عبد الله بن تاج الرياسة المعروف بابن الغنام وقد شغل وظيفة الوزارة في ربيع الثاني ٧١١هـ / أغسطس ١٣١١م وعزل عنها في جمادي الأولى ٧١٣هـ / سبتمبر ١٣١١م وقتل في سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م؛

Ahmad Abd AR-Râziq, "Le vizirat", AnIsl, XVI, 197-198, n°31.

(٦) المقرئ، السلوك، ج. ٢، ق. ١، ١٠٦.

(٧) المقرئ، السلوك، ج. ٢، ق. ١، ١٠٠.

أسفل كرسي السلطان الناصر محمد بن قلاوون فيها سباب وتوبيخ له فأخرج منهم عدة إلى بلاد وسجن منهم جماعة^(١).

هذا وقد كان التعويق يستخدم أحياناً عوضاً عن الترحيل خاصة عندما يزداد نفوذ الشخص بوصفه حلاً بديلاً حتى تتمكن الدولة من اتخاذ التدابير اللازمة لإحكام قبضتها عليه، ففي ٢٣ ذو الحجة ٧٤٠هـ / ٢٠ يونيو ١٣٤٠م أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأمير طشتمر نائب صفد بالتوجه إلى دمشق والقبض على تنكز^(٢) وكتب إلى الحاجب بدر الدين مسعود وقطلوبغا الفخري والأمراء بالقبض عليه "إن قدروا وإلا فعوقوه" إلى أن يصل الجيش المصري حتى وصل طشتمر واجتمع الأمراء، هذا كله والنائب تنكز في غفلة مما يدبر له منتظر قدوم التقليد الجديد له فأراد في البدء محاربتهم ثم أشير إليه بالخروج لإخماد الفتنة دون سلاح، فخرج إلى نائب صفد واستسلم فأخذ سيفه وقيد خلف مسجد القدم وجهاز هو وسيفه للسلطان الناصر محمد بن قلاوون وذلك يوم الثلاثاء ٢٣ ذو الحجة ٧٤٠هـ / ٢٠ يونيو ١٣٤٠م^(٣).

وفي بعض الأحيان لا تمدنا المصادر المملوكية بالتفاصيل اللازمة للوقوف على أسباب التعويق مكتفية فقط بسرد الوقائع مما يدفعنا إلى الاعتقاد أن هذه الوقائع مجهولة الأسباب كانت تخضع للهوى الشخصي للسلطان.

(١) المقرئزي، السلوك، ج. ٢، ق ١، ٢٤٦.

(٢) الأمير تنكز بن عبد الله الحسامي الناصري محمد بن قلاوون، ولي نيابة دمشق ثمانية وعشرين سنة، وهو الذي عمرها بعد أن هدمها التتار، وأمسكه أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون، وحبسه بالإسكندرية إلى أن قتل بها في سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م، وخلف أموالاً كثيرة، وهو صاحب الجامع بدمشق، وكان أصله من مماليك المنصور لاجين. جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج. ١، تحقيق فهم محمد علوي شلتوت (القاهرة: ١٩٩٨)، ٢٢٨، رقم ٧٩٥.

(٣) تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسيدي الدمشقي، تاريخ بن قاضي شهبة، ج. ١، تحقيق عدنان درويش (دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية دمشق، ١٩٩٤)، ١٥٢-١٥٣.

ومن هذه الوقائع واقعة اتفق عليها كل من المقرئزي وابن إياس خاصة بالقبض على ناظر الدولة^(١) أمين الدين مين وتعويقه بالقلعة^(٢) بقاعة الصاحب^(٣) أيامًا ثم أفرج عنه^(٤) وذلك في جمادى الثاني ٧٧٨هـ/ نصف نوفمبر ٣٧٦م^(٥). وقد يقتزن التعويق بمطالبة المعوق بدفع مبلغ مالي ففي يوم الأربعاء ٣ رمضان ٧٩١هـ/ ٢٦ أغسطس ١٣٨٩م قبض الأمير تمرغا منطاش^(٦) علي قردم الحسني^(٧) وعوقه بالإصطبل السلطاني^(٨).

(١) هذه الوظيفة يقال لمتوليها ناظر النظار ويقال له أيضًا ناظر المال وهو يعرف في الدولة المملوكية بناظر الدولة، وتلي رتبته رتبة الوزارة. فإذا غاب الوزير أو تعطلت الوزارة من وزير، قام ناظر الدولة بتدبير الدولة، وتقدم إلى شاد الدواوين بتحصيل الأموال وصرف النفقات والكلف. واقتصر الملك الناصر محمد بن قلاوون على ناظر الدولة مدة أعوام من غير تولية وزير ومشى أمور الدولة على ذلك حتى مات. تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ج. ٣ (القاهرة: ٢٠١٣)، ٧٢٥.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج. ٣، ق. ١، ٢٦٨؛ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج. ١، ق. ٢، تحقيق محمد مصطفى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨)، ١٦٨.

(٣) قاعة الصاحب أنشأها الملك الكامل وعرفت بهذا الاسم لأن الوزراء كانوا يلقبون بلقب الصاحب وهي مقرهم وكانت تقع بجوار باب القلعة الذي يمثل حلقة الوصل ما بين قلعة الجبل العسكرية والمدينة السلطانية التي أقامها الكامل بجانبها والنطاق الثالث الذي أنشئ أسفل القلعة الذي يضم الإصطبل وغيره. وكانت مظلمة جدًا. أحمد دراج، الجانب الأثري في كتاب صبح الأعشي بندوة القلقشندي وكتابه صبح الأعشي (القاهرة: ١٩٧٣)، ١١٤-١١٥. ويشير المقرئزي أن قاعة الصاحب كانت مجاورة لدار النيابة التي كانت تقع تجاه الإيوان بالجانب الآخر من باب القلعة أي بالجانب الذي يوجد داخل سور صلاح الدين. المقرئزي، المواعظ، ج. ٣، ٧٢٢ هامش ٢. وتعتبر قاعة الصاحب واحدة من المنشآت التي اتخذت سجونًا للسلاطين السابقين أو الأمراء المغضوب عليهم أو بعض خواص السلطان أو من يرغب السلطان في وجوده تحت سمعه وبصره داخل أحد هذه السجون. علاء طه رزق حسين، السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك، ط. ١ (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢)، ٣٥.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج. ٣، ق. ١، ٢٦٨.

(٥) المقرئزي، السلوك، ج. ٣، ق. ١، ٢٦٨؛ ابن إياس، بدائع، ج. ١، ق. ٢، ١٦٨.

(٦) الأمير تمرغا بن عبد الله الأفضلي الأشرفي شعبان الشهير بمنطاش، رفيق الأتابك يلبغا الناصري، قتل بقلعة حلب سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م. ابن تغري بردي، الدليل، ج. ١، ٢٢٣، رقم ٧٨٠.

(٧) الأمير قردم بن عبدالله الحسني رأس نوبة النوب قتل بدمشق سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م. السخاوي، الضوء، ج. ٦، ٢١٨، رقم ٧٢٤؛

Hiba Yusuf, "Le chef de la ronde des rondes au temps des Mamluks", Journal of Association of Arab Universities for Tourism and Hospitality, VIII/2 Le Caire (2011), 91, n°27.

(٨) ابن الفرات، تاريخ، ج. ٩، ق. ١، ١٣٠. الإصطبل كلمة تعني حواصل الخيول والبغال وما في معناها. القلقشندي، صبح، ج. ٣، ٤٧٨؛ ٤٧٨؛ نبيل محمد عبد العزيز، الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك (القاهرة: ١٩٧٦)، ١٠٢، هامش ٦. والمعروف أن أول من استحدث الإصطبلات السلطانية بقلعة الجبل الملك الكامل، واستمرت في أيام خلفائه ثم كان اتساعها في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون. عبد الرحمن زكي، قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار (القاهرة: ١٩٧١)، ٤٣؛ نبيل محمد عبد العزيز، الخيل، ١٠٢، هامش ٦. والإصطبل السلطاني عبارة عن بناء مسقوف جيد التهوية ومتسع جدًا برسم الخيول السلطانية وله حوش وباب يفتح ويغلق حسب الحاجة وعند الضرورة. غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (باريس: المطبعة الجمهورية: ١٨٩٤)، ١٢٥-١٢٦؛ نبيل محمد عبد العزيز، الخيل، ١٠٤؛

Gehane Gamil Mourad Heshmat, "Le jeu de Polo au temps des mamluks" (Thèse de Magistère dactilographiée, Faculté de Tourisme et d'Hôtellerie, Université de Hilwan, Le Caire, 2000), 116-117.

كما يفهم أيضاً أن التعويق كان عقوبة تأديبية نظير عدم الامتثال لأوامر رجال الدولة ففي ذي الحجة ٧٩١هـ/ ديسمبر ١٣٨٩م طلب الأمير منطاش من الشيخ شمس الدين الركاكي^(١) مدرس بالخانقاة الشبخونية^(٢) أن يكتب خطه في الفتاوى فرفض فشاع أنه ضربه ١٠٠^(٣) ورسم عليه^(٤) وعوقه أيضاً بالإصطبل السلطاني^(٥).

ويبدو أن القضاة وكبار الأمراء لم يسلموا أيضاً من التعويق. ففي ٨ صفر ٧٩٨هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٣٩٥م تم استدعاء الأمير ناصر الدين محمد بن محمود وطلع به إلى القلعة فعوق بها وعوق القاضي سعد الدين بن غراب^(٦) أيضاً

ومكان الإصطبل السلطاني اليوم مجموعة المباني التي تعود إلى عصر محمد على والواقعة بالقلعة على يمين الداخل من باب العزب الذي كان يسمي قديماً باب الإصطبل في المساحة الممتدة من جامع أحمد آغا قبومجي إلى نهاية هذه المباني من جهتها الغربية والقبلية والشرقية. ويلاحظ أن المكان الحالي للإصطبل المذكور ليس في منسوب أرض قلعة الجبل بل هو في مستوي أوطأ مما عليه القلعة ويحيط به السور الأسفل المشرف على ميدان صلاح الدين. المقریزی، المواعظ، ج. ٣، ٢٣٥، هامش ٤.

(١) الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف الركاكي المالكي كان عالماً بالأصول وينسب إليه سوء الاعتقاد وسجن بسبب ذلك ونفي إلى الشام ثم تقدم عند الظاهر برقوق وولاه القضاء وسافر معه سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م فمات بحمص في ٤ شوال ٧٩٣هـ/ ٤ سبتمبر ١٣٩١م. شهاب الدين بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج. ٨، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، ط. ١، (دمشق-بيروت: دار بن كثير، ١٩٩٢)، ٥٦٦-٥٦٧.

(٢) بني هذه الخانقاة الأمير شيخو الأمير الكبير سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م كان مكانها جملة قطائع جامع أحمد بن طولون، رتب فيها دروساً لفهاء المذاهب الأربعة، وهي ما زالت قائمة إلى الآن تحت رقم ١٥٢. شمس الدين محمد السحماوي، الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاظم، ج. ١، تحقيق أشرف محمد أنس (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٩)، ٣٦٤، هامش ١؛ عاصم محمد رزق، خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣هـ / ١١٧١-١٥١٧م)، ج. ١، (القاهرة: ١٩٩٧)، ٣١٥-٣٥٦.

(٣) لم يحدد بن الفرات نوع الضرب أو الأداة المستخدمة في توقيعه. تاريخ، ج. ٩، ق. ١، ١٦٢.

(٤) الترسيم: لفظة ترسيم مشتقة من الفعل ترسم بتشديد الراء والسين أي تتبع وراقب وهو ما يمكن أن نسميه بالحبس الاحتياطي أو الحبس على ذمة التحقيق حتى تثبت إدانة المتهم أو براءته. علاء طه رزق، السجن، ٣١، هامش ٤. وهو قريب الشبه من الاعتقال أو الحبس الاحتياطي ولم يكن له مدة محددة بل يمكن أن يكون ليلة واحدة وأحياناً يطول لعدة سنوات. نظير حسان سعداوي، صور ومظالم من عصر المماليك، ج. ١ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦)، ٤٧؛ الشربيني، مصادرة، ج. ١، ٢٨٠.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، ج. ٩، ق. ١، ١٦٢.

(٦) سعد الدين بن إبراهيم بن عبد الرازق المعروف بابن غراب تولي الأستاذية في ١٨ رجب ٨٠٣هـ/ ٤ مارس ١٤٠١م وعزل منها في ٤ ذو الحجة ٨٠٣هـ/ ١٦ يوليو ١٤٠١م وتوفي في ١٩ جمادى الثاني ٨٠٨هـ/ ١١ ديسمبر ١٤٠٥م. ابن تغري بردي، الدليل، ج. ١، ٢١، رقم ٢١؛ علي بن داود الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج. ٢، تحقيق حسن حبشي (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧١)، ج. ٢، ١٠٠؛ عبد الباسط بن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، ج. ٣، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢)، ٥٦، ٦٦؛

Marwa Hamdî, "al-Ustâdâriyah in the Mamlûk Period and their Architectural and Artistic Works in Egypt (648-923 A.H/ 1250-1517 A.D)", (PHD Thesis, Faculty of Arts, Ain Shams University, Cairo: 2013), 55. 413, n° vol. I, 412-

في بيت الطواشي زين الدين صندل المنجكي^(١) خازن دار الذخيرة^(٢) السلطانية الظاهرية ورأس نوبة الجمدارية^(٣)، وقيل إن المال الذي أخذ في هذا اليوم بلغ مائة ألف دينار وجد في سلم بيت الأمير جمال الدين^(٤).

وكما تعرض القضاة وكبار الأمراء للتعويق تعرض أيضاً الرسل التي تحمل رسائلهم ما يغضب السلاطين كأبلغ رد من الدولة على رفض الرسالة وفحواها. إذ يشير مؤرخو العصر المملوكي إلى تعويق رسل تيمورلنك عند وصولهم إلى الشام سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م^(٥).

يتضح من المصادر المملوكية أن التعويق أيضاً استخدم لمواجهة الأمراء المتأمرين على السلطان كإجراء احترازي لحين إلقاء القبض على الأمراء المتأمرين ثم إطلاق الباقيين. فيشير الصيرفي في حوادث يوم الخميس ٢١ شوال ٨٠١هـ / ٢٦ يونيو ١٣٩٩م أن السلطان الناصر فرج بن برقوق أمسك بجماعة من الأمراء مقدمي الألوف وهم أرسطاي رأس نوبة كبير والأمير تمتاز الناصري والأمير تمرغا المنجكي حاجب الميسرة والأمير يلغا الأحمدي أستاذار العالية^(٦) ومن الطبلخاناة^(٧) ثلاثة وهم الأمير بلاط السعدي والأمير طولو رأس نوبة والأمير طغجي

(١) تولي الأمير زين الدين صندل المنجكي الرومي الظاهري منصب خازن دار الذخيرة في عهد السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٩م) وتوفي في ٣ رمضان ٨٠١هـ / ٩ مايو ١٣٩٩م. ابن الفرات، تاريخ، ج. ٩، ق. ٢؛ المقريزي، السلوك، ج. ٣، ق. ٣، ٩٧٥؛ تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شعبة الأسدي المشقي، تاريخ، ج. ٣، ٤٨، ابن تغري بردي، النجوم، ج. ١٣، ٩؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج. ١، ٣٥٥ رقم ١٢٢٠؛ السخاوي، الضوء، ج. ٣، ٣٢٢، رقم ١٢٤٠.

Râniâ Usâma Alî Fikrî, "Les trésoriers (*al-Hâzindârîya*) à l'époque mamlûke en Égypte et leurs œuvres architecturales et artistiques (648-923/1250-1517)" (Thèse de Doctorat dactylographiée, Faculté des Lettres, Université de Aïn Shams, le Caire: 2013), 448, n°12.

(٢) الذخيرة هي ما يستأجر للملك من النواحي والمزارع والدواب وغير ذلك ومتوليها له التحدث على هذه الجهات فيما بيناته الملك وبيعه عنه وما يستأجره له ويؤجر عنه، وهو المتصرف في صرف ما يصرف وحمل ما يحمل للخزان، وربما يتحدث فيها ذو سيف. السخاوي، الثغر، ج. ١، ٤٢١؛ ٣، ١٦٢، رقم ١٢٤٠.

(٣) الجمدار كلمة فارسية تتكون من مقطعين أحدهم جام وهو الثوب، والثاني دار بمعنى ممسك. ورأس هنا تعني الأعلى أي المشرف على جملة الجمدارية. السخاوي، الثغر، ج. ١، ٣٨٦.

(٤) ابن الفرات، تاريخ، ج. ٩، ق. ١، ٤٢٩.

(٦) صارم الدين العلائي المعروف بإبن دقماق، النفحة المسكية في الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٩٩)، ٢٨٤؛ المقريزي، السلوك، ج. ٣، ق. ٢، ٨٦٩؛ ابن قاضي شعبة، تاريخ، ج. ١، ٦٠٤؛ ابن إياس، بدائع، ج. ١، ق. ٢، ٤٨٣.

(٦) تتكون كلمة استادار الفارسية من مقطعين: الأول استد بكسر الهمزة وسكون السين والدال وفتح التاء ومعناها الأخ، والثانية دار ومعناها ممسك. وهو المتحدث في بيوت السلطان كلها. وكان صاحب هذه الوظيفة مقدم وله اتباع من الأمراء والطبلخانات، يتكلم بعضهم في الذخيرة، وبعضهم في الأملاك، وبعضهم في المشتريات والمبيعات ويتميز المقدم باستادار العالية. السخاوي، الثغر، ج. ١، ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٧) يمثل أمراء الطبلخاناة الطبقة الثانية من طبقات الأمراء وعدة كل منهم في الغالب أربعون فارساً. وقد يزيد بعضهم على ذلك إلى سبعين فارساً أو ثمانون فارساً ولا تكون الطبلخاناة لأقل من أربعين، وهذه الوظيفة لا ضابط لعدد أمرائها بل تتفاوت بالزيادة والنقص، ومن أمراء الطبلخاناة تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف والكشاف بالأعمال، وأكابر الولاة. ابن فضل الله شهاب الدين العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد (القاهرة: ١٩٨٥)، ٢٨؛ الفلقشندي، صبح، ج. ٤، ١٥؛ جمال الدين أبي المحاسن

والسبب في ذلك أنهم اتفقوا أن ينزلوا الأشرف شعبان في زي النساء ويعقدوا له بالسلطنة ويتصدوا لمن يخالفونهم وكشف أمرهم جقمق الخاصكي الظاهري وكان ذلك في يوم حلقة الإيوان^(١) وكان الأمراء والقضاة كلهم طلوعوا بعد أن خلع السلطان الملك الناصر على جماعة من الأمراء باستمرارهم في وظائفهم فلما دخل السلطان الناصر فرج بن برقوق القصر اضطربت القلعة وسلوا أكثر من ألف سيف وعوقوا الأمراء كلهم إلى أن أمسكوا المذكورين وجعلوهم في قاعة ثم أطلقوا الباقيين^(٢).

وفي بعض الأحيان كان نائب السلطنة^(٣) يقوم بوصفه سلطاناً مختصراً بتعويق بعض الأمراء بعد وصول معلومات تفيد تريحهم من خلال المهام التي يكلفها بهم السلاطين وهو ما حدث ٦ محرم ٨٠٢هـ / ٨ سبتمبر ١٣٩٩م حيث قام الأمير تتم نائب دمشق بتعويق شهاب الدين أحمد بن حسن بن خاص بك المعروف بابن خاص ترك شاد الدواوين^(٤) بعد وفاة السلطان الظاهر برقوق الذي أرسله إلى بلاد الشام لتحصيل الأموال والأغنام وكان قد جمع كثيراً من الأموال والأغنام^(٥).

وقد أشار الصيرفي بدوره إلى واقعة تعويق أخري في يوم الأربعاء ٢١ شوال ٨٠٣هـ / ٤ يونيو ١٤٠١م عندما نزل الأمير سودون طازمن الإصطبل السلطاني بعد أن جمع كلما في الإصطبل من خيول وبغال وسلاح وغير ذلك ونزل سوق الخيل^(٦) فوقع ضجة عظيمة فيه، واضطربت القاهرة ثم أخذ الأمير يشبك الشعباني السلطان الناصر

يوسف بن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، القاهرة، ج. ٢، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز (القاهرة: ١٩٨٤)، ٣٤، هامش ١؛ السحماوي، الثغر، ج. ١، ٣٨٥؛

Jane Gaulmier, La Zubda Kachf Al-Mamalik De Khalil Az-Zahiri (Beyrouth: Institut Francais De Damas, 1950), 188; M. Bernard, "L'organisation financière de l'Égypte sous les sultans mamelouks d'après al-1924-1925): 238, n°2; B. Martel-Thoumian, "Les civils et Qalqasandi", BIE VII (Le Caire: l'administration dans l'État militaire mamluk", IX/XV siècle (Damas: Institut Française de Damas, 1991), 66.

(١) الإيوان المعروف بدار العدل أنشأه السلطان الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي النجمي، ثم جده ابنه السلطان الملك الأشرف خليل، وأستمر جلوس نائب العدل به، فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون الروك، أمر بهدم هذا الإيوان وأعاد بناءه وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلية، وأقام به عمداً عظيمة نقلها إليه من بلاد الصعيد ورخمه رخاماً عظيماً وقد اندثر الآن هذا الإيوان ليحل محله جامع محمد علي. المقريزي، المواعظ، ج. ٣، ٦٥٩-٦٦٠.

(٢) الصيرفي، نزهة، ج. ٢، ١٢-١٣.

(٣) نائب السلطنة المعبر عنه بالنائب الكافل أو بكافل الممالك الإسلامية، وهو سلطان مختصر، بل هو السلطان الثاني، وكان يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان، ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناسير، وله الإشراف على ديوان الجيش. القلقشندي، صبح، ج. ٤، ١٦-١٧؛ السحماوي، الثغر، ج. ١، ٣٨٧، محمد عبد الغني الأشقر، نائب السلطنة المملوكية في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين، ١٩٩٩)، ٦٧.

(٤) كان شاد الدواوين أمير عشرة رقيقاً للوزير في استخلاص الأموال، وقد انحط وصار يعمل أحياناً ويبطل غالباً، وربما استقر من غير مباشرة طلباً للمعلوم. السحماوي، الثغر، ج. ١، ٤٠١.

(٥) ابن إياس، بدائع، ج. ١، ق. ٢، ٥٥٢.

(٦) أنشئ سوق الخيل في منطقة الرميطة تحت ساحة قلعة الجبل. المقريزي، السلوك، ج. ٢، ق. ١، ٥٤٤؛

Muffadal Ibn Abi al-Fadâ il (Blochet Edgar), Histoire des sultans mamlouks (Paris: 1919), 221;

فرج بن برقوق والأمراء ونزل بهم إلى باب السلسلة^(١) فقامت طائفة من المماليك فصاحوا على يشبك "نحن كلنا طائعون للسلطان ولا أحد من الأمراء ولا من المماليك عاص وإنما وقعت الفتنة من أجلك فإن قدرت على ملاقاتة غرمايك فانهض ولا تهتم وإلا اجتمعنا كلنا وذهبنا إليهم". فلما سمع ذلك تملكه الخوف وأطلق الأمراء الذين عوقهم ثم اتفقوا أن يرسلوا الأمير سودون المارداني رأس نوبة كبير والمعلم ناصر الدين الرماح إلى سودون طاز لأجل الصلح فذهبا إليه وأخبراه بذلك فلم يجب إلى ذلك وأبدى استعدادة للقتال ثم بعثوا الأمير نوروز الحافظي^(٢) والقاضي ناصر الدين الصالحي فلما جاء إليهم تعانقوا وتصافحوا وكان عندهم عشرة آلاف نفس رجالاً ونساءً وصبياناً فلما سمعت العامة بالصلح صاحوا لا تصطلحوا فعوقوا الأمير نوروز عندهم وأطلقوا القاضي الشافعي وحده فصار القتال أمراً محققاً فطلبت المماليك السلطانية من يشبك ملاقاتة غرمايك "لأن الذي يركب البحر لا يجب عليه أن يخاف من الموج" فقام يشبك ونزل إلى بيته ثم طلع إلى السلطان الناصر فرج بن برقوق وحاول مراراً الطلوع إلى السلطان وفي رابع مرة منعه المماليك وردوا في وجهه باب السلسلة^(٣).

وكما عوق السلاطين والأمراء المماليك عبر المماليك أيضاً عن غضبهم بتعويق كبار رجال الدولة تعبيراً عن غضبهم من تأخر مستحقاتهم المالية وهو ما حدث بالفعل في ٢٦ ذو القعدة ٨٠٣هـ / ٦ يوليو ١٤٠١م عندما صعد سعد الدين بن غراب إلى القلعة يرسم النفقة في نحو ألف من المماليك فثاروا به وقبضوا عليه وضربوه حتى كاد يموت وعوقوه في مكان في القلعة ثم تركوه فنزل إلى داره^(٤).

ويبدو أن تأخر النفقات صار دافعاً قوياً للمماليك لتعويق من اعتبروهم مسئولين عن تأخر مستحقاتهم المالية ففي يوم السبت ١٠ شوال ٨٠٤هـ / ١٣ مايو ١٤٠٢م اجتمع المماليك السلطانية^(٥) بسوق الخيل وكذلك الأمراء وطلبوا القضاة وعوقوهم بالقلعة وأقاموا على ذلك إلى يوم الأربعاء ١٤ شوال ٨٠٤هـ / ١٧ مايو ١٤٠٢م^(٦).

André Raymond, *Artisans et commerçants au Caire au XVIIIe siècle*, vol. I, (Damas: 1973), 346 ; Rânîâ Usâma Ali Fikrî, "Les marchés du Caire au temps des mamlûks baharites (648-784/ 1250-1382)", (Thèse de Magistère dactilographiée, Faculté des Lettres, Université de Ain Chams: 2006), 49.

(١) باب السلسلة هو أحد الأبواب التي تؤدي إلى المنشآت الملحقة بالقلعة وعرف بباب الإصطبل في العصر المملوكي وقد ظل موجوداً حتى العصر العثماني تجاه جامع السلطان حسن معروفاً بباب الإنكشارية إلى أن جدد رضوان كتحدا الجلفي المتوفي عام ١١٦٨هـ / ١٧٥٥م باب القلعة الذي بالرملية المعروف بباب العزب سنة ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م وعمل حوله البدينين العظيمتين والزلاقة في موقع باب السلسلة، ومازال باب العزب قائماً تجاه جامع السلطان حسن، ورقم تسجيله الأثري ٥٥٥. المقریزی، المواعظ، ج. ٣، ٦٨٨، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج. ١٢، ٣، هامش ١؛ السحموي، الثغر، ج. ١، ٣٩٠، هامش ١.

(٢) الأمير سيف الدين نوروز بن عبد الله الحافظي الظاهري برقوق نائب الشام، ورفيق المؤيد شيخ في أيام عصبانته، ثم صار غريمه بعد سلطنته، وعصي عليه، وقتله حتى ظفر به المؤيد شيخ وقتله في شهر ربيع الثاني في سنة ٨١٧هـ / ١٤١٤م. ابن تغري بردي، الدليل، ج. ٢، ٧٦٢، رقم ٢٥٩٧؛ السخاوي، الضوء، ج. ١٠، ٢٠٤، رقم ٨٧١.

(٣) الصيرفي، نزهة، ج. ٢، ١٠٩-١١١.

(٤) الصيرفي، نزهة، ج. ٢، ١١٧؛ ابن إياس، بدائع، ج. ١، ق. ٢، ٦٣١.

(٥) يقول عنهم القلقشندي أنهم أعظم الأجناد شأناً، وأشدهم إلى السلطان قرناً، وأوفرهم إقطاعاً، ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة. القلقشندي، صبح، ج. ٤، ١٥.

(٦) ابن دقماق، النفحة، ٣٢٩.

هذا وقد واصل المماليك السلطانية تمردهم وسخطهم بسبب تأخر نفقاتهم وجوامكهم^(١) ففي ٢٩ ذي القعدة ٨٠٥هـ / ٢٠ يونيو ١٤٠٣م، قام المماليك السلطانية بإغلاق باب القصر السلطاني على من يحضر من الأمراء وعوقفهم بسبب تأخر نفقاتهم وجوامكهم فأقاموا ساعة ثم نزلوا من باب السر^(٢) إلى الإصطبل ولحقوا بدورهم وقد اشتد خوفهم وطلب بلبغا السالمي الأستادار^(٣) فاختمى ثم ظفروا به وعوق بباب السلسلة من الإصطبل عند الأمير إينال باي ووكل به حتى يكمل نفقة المماليك^(٤).

ومن الواضح أن الدولة سعت من جانبها لامتصاص غضب المماليك وذلك من خلال النداء الذي أطلقتته يوم الأربعاء ٢١ محرم ٨٠٦هـ / ١٠ أغسطس ١٤٠٤م إذ نودي في المدينة "كل من ظلم من يلبغا السالمي فعليه بالأبواب الشريفة" كل ذلك ولبغا معوق بباب السلسلة تحت الترسيم وقيل أنه ضرب ضرباً شديداً مبرحاً. ولم يكن التعويق وحده هو عاقبة يلبغا السالمي بل عزل أيضاً من الأستادارية ثم سُفر بعد أيام قليلة إلى الإسكندرية^(٥) للاعتقال بها^(٦). كما يشير ابن إياس من جانبه إلى إلقاء القبض على يلبغا السالمي يوم الأربعاء من ١٢ ذي الحجة ٨٠٧هـ / ١١ يونيو ١٤٠٥م وتعويقه بباب السلسلة والاستيلاء على جميع أملاكه بسعاية الأمير جمال الدين الأستادار^(٧).

(١) الجوامك مفرداً جامكية وتعني الرواتب العينية التي تصرف للمماليك والأمراء. القلقشندي، صبح، ج. ٣، ٤٥٧؛ السحموي، الثغر، ج. ١، ٣٩٧؛ الصيرفي، نزهة، ج. ٣، ١٦، هامش ١؛

Abraham N. Poliak, Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and Lebanon (London: 1939), 4; Rânia Usâma, Trésoriers, 133.

(٢) باب السر هو أحد أبواب القلعة الثلاث بجوار باب المدرج وباب القرافة، وكان مخصصاً لدخول وخروج أكابر الأمراء وكتاب السر والوزير. القلقشندي، صبح، ج. ٣، ٣٧٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج. ٨، ١٧٢، هامش ١؛ السحموي، الثغر، ج. ١، ٢٤٩، هامش ٦.

(٣) الأمير سيف الدين يلبغا السالمي الظاهري تولى الأستادارية في ٢٣ ذو القعدة سنة ٨٠٣هـ / ٢٧ يوليو ١٣٩٩م وقتل في ١٧ رمضان سنة ٨١١هـ / ٣ فبراير ١٤٠٩م. نقي الدين أحمد بن علي المقرئ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة (بيروت: ٢٠٠٢)، ج. ٣، ٥٤، رقم ١٤٤٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج. ١٢، ١٧٤-١٧٨، رقم ٢٦٨٨؛ الدليل، ج. ٢، ٧٩٤-٧٩٥، رقم ٢٦٧٧؛ Marwa Hamdî, al-Ustâdârîyah, vol. 1, 412, n° 54.

(٤) ابن إياس، بدائع، ج. ١، ق. ٢، ٦٧٣. الجدير بالذكر أن تعويق يلبغا السالمي الأستادار تم بعد توليته الأستادارية بيومين إذ تولاها مجدداً في ٢٧ ذي القعدة ٨٠٥هـ / ١٨ يونيو ١٤٠٣م؛ المقرئ، السلوك، ج. ٣، ق. ٣، ١١٠٦؛ عبد الباسط بن شاهين الظاهري، نيل، ج. ٣، ٩٠؛ ابن إياس، بدائع، ج. ١، ق. ٢، ٦٧٢.

(٥) كان سجن الإسكندرية واحداً من سجون الشرائع العسكرية وكان مخصصاً للأمراء فقط دون غيرهم من العسكريين الذين يرغب السلطان في إبعادهم عن مقر الحكم حتى يأمن شرهم، ويتم النظر في أمرهم لتحديد مصيرهم النهائي.

David Ayalon, "Discharges from Services, Banishments and Imprisonments in Mamlûk Society",
Collected Studies, Tell Aviv, 1979, V, 42-43; ٣٢، السجون، رزق، علاء طه رزق،

(٦) الصيرفي، نزهة، ج. ٢، ١٧٧.

(٧) ابن إياس، بدائع، ج. ١، ق. ٢، ٧٢٠.

ويبدو أن تردّي الأوضاع الاقتصادية خاصة في دولة المماليك الجراكسة جعلت الدولة تغض البصر تمامًا عن تجاوزات المماليك إزاء بعض المسؤولين، إذ بلغت تلك التجاوزات حد التعدي على الحرية الخاصة للمسؤولين وتعويقهم لضمان صرف مستحقات المماليك المالية المتأخرة.

وقد يقترن التعويق بعقوبات أخرى كالضرب المبرح وتقرير الأموال إمعانًا في التكتيل بالمعوق ففي يوم الخميس ٩ شوال ٨١٥هـ / ١٢ يناير ١٤١٣م، قُبض على فتح الله^(١) كاتب السر^(٢) وعُوق بقلعة الجبل وأُحيط بداره وقُبض على حواشيه وعُصر في ليلة الجمعة وألزم بدفع مائتا ألف دينار فتقرر عند الوزن خمسين ألف دينار بعدما ضُرب ضربًا مبرحًا ثم حُمِل ليلة الأحد ١٢ شوال ٨١٥هـ / ١٥ يناير ١٤١٣م إلى بيت الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستاذار^(٣) وأُخرجت حواصله فبيعت^(٤).

ويروي الصيرفي في حوادث جمادي الأولى ٨١٦هـ / أغسطس ١٤١٣م تعرض ناظر الخاص^(٥) تقي الدين بن أبي شاعر للتعويق في القلعة ورُسِم عليه^(٦). ويشير نفس المؤرخ إلى أن منصب الخليفة لم يسلم هو الآخر من التعويق ففي ذي الحجة ٨١٦هـ / مارس ١٤١٤م قام السلطان المؤيد شيخ بالخلع على داود أخي الخليفة المستعين بالله الثاني المعوق واستقراره خليفة للمسلمين وتلقب بالمعتضد بالله وكنى بأبي الفتح عوضًا عن أخيه بحكم عزله^(٧).

(١) هو فتح الله بن مستعصم بن نفيس، القاضي فتح الدين التبريزي الحنفي كاتب السر بمصر، مولده بتبريز سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧م، وقدم القاهرة ودرس الطب، وتولى رئاسة الأطباء، ثم تولى كتابة السر حتى قبض عليه السلطان المؤيد شيخ، وصادره وقتله خنقًا سنة ٨١٦ هـ / ١٤١٤م. ابن تغري بردي، الدليل، ج. ٢، ٥١٩، رقم ١٧٩٢.

(٢) يتولى هذه الوظيفة غالبًا ولد كاتم السر أو أخوه أو قريبه، وهو يتصرف في كل ما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وقلمه عند تعذر حضوره، وإذا كان كاتم السر حاضرًا اقتصر دوره على إلقاء الكتب في المهمات السلطانية، والوقوف على الكتب الواردة، واستخراج أجوبتها. السحماوي، الثغر، ج. ١، ٣٥٧.

(٣) تولى الأمير بدر الدين حسن بن محب الأستاذار منصب الأستاذارية في ١٩ ربيع الثاني ٨١٥هـ / ٢٩ يوليو ١٤١٢م وتم عزله في ٣٠ جمادي الأولى ٨١٦هـ / ٢٧ أغسطس ١٤١٣م وقتل في ١٧ جمادي الآخرة ٨٢٤هـ / ١٨ يونيو ١٤٢١م. المقرئ، درر، ج. ٢، ٣٠٥؛

ابن تغري بردي، الدليل، ج. ١، ٢٦٣، رقم ٩٠. Marwa Hamdî, al-Ustâdârîya, vol. I, 419-420, n°67.

(٤) المقرئ، السلوك، ج. ٤، ق. ١، ٢٤٨.

(٥) وظيفة ناظر الخاص من أجل الوظائف الديوانية واستحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاوون حين انحطت الوزارة. ولمتوليها التحدث التحدث فيما هو خاص ببال السلطان وأيضًا التحدث في الخزانة السلطانية. القلقشندي، صبح، ج. ٤، ٣٠؛ المقرئ، المواظ، ج. ٣، ٧٣٤؛ السحماوي، الثغر، ج. ١، ٤١٧-٤١٨؛

Maurice Gaudefroy-Demombynes, La Syrie à l'époque des Mamelouks d'après les auteurs arabes (Paris: 1923), LXXI; Émile Tyan, Histoire de l'organisation judiciaire en pays de l'islam, Paris, II, 1938-1943, 133; Hassanein Rabie, The Financial System of Egypt (London: 1972), 143; H. Nasir al-Higgi, The Internal Affairs in Egypt During the Third Reign of al-Nasir Muhammad ibn Qalawun (709-741/1309-1341), 3rd ed (Kuwait: 2000), 206.

(٦) الصيرفي، نزهة، ج. ٢، ٣٢٩.

(٧) الصيرفي، نزهة، ج. ٢، ٣٣٤.

كما ألقى القبض على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار في ١٢ ربيع الأول ٨١٩هـ / ١٠ مايو ١٤١٦م بعدما أوسع السلطان المؤيد شيخ سبأ وهم بقتله^(١) ثم عوق نهاره بالقلعة فشجع فيه الأمير جقمق الدوادر فتم تسليمه له على أن يدفع ثلاثمائة ألف دينار^(٢).

وتعود الجامكية وتأخيرها من جديد لتكون سبباً في إلقاء القبض على الأمير أرغون شاه الأستادار^(٣) والوزير يوم الأحد ٢٧ شوال ٨٢٦هـ / ١٣ أكتوبر ١٤٢٣م^(٤) وعوق في البرج^(٥) بقلعة الجبل بسبب تأخر الجامكية وإظهار العجز وقد انتشر كلام بحقه أنه أخذ أموالاً جمّة في سرحاته إلى البحيرة والغربية والجهات القبلية وأنه استولي على جميع هذه الأموال وجهزها إلى دمشق فضرب ضرباً مؤلماً ثم بعد أيام قليلة وقعت فيه الشفاعة بعد أن قرر عليه مآلاً كثيراً من الذهب ونزل إلى بيته^(٦).

مرة أخرى يتم تعويق مسئول في الدولة المملوكية وابنه وهو ما حدث يوم الثلاثاء ٨ رمضان ٨٢٧هـ / ١٤ أغسطس ١٤٢٤م عندما أمر السلطان الأشرف برسبائي (٨٢٥-٨٤١هـ / ١٤٢٢-١٤٣٨م) بمسك القاضي بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص وتعويقه فأمسك وعوق وطلب ابنه صلاح الدين من بيته فعوق وطلب منهما أموالاً جمّة وهددا بالقتل والعذاب وانتهى الأمر بأن طلب منهم ثلاثين ألف دينار، ثم بعد يومين أو ثلاثة

(١) المقرئزي، السلوك، ج. ٤، ق. ١، ٣٥٤؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، إنباء العمر بأبناء الغمر، ج. ٣، تحقيق حسن حبشي (القاهرة: المجلس الأعلى للثنون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٩)، ٩٢؛ بدر الدين العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق محمد فهيم شلتوت (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٧)، ٣٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج. ١٤، ٤٢-٤٣؛ عبد الباسط بن شاهين الظاهري، نيل، ج. ٣، ٣٠٤؛ الصيرفي، نزهة، ج. ٢، ٣٦٤؛ ابن إياس، بدائع، ج. ٢، ٢٧.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج. ٢، ق. ١، ص ٣٥٤؛

Ahmad Darrag, L'Égypte sous le règne de Barsbay (825-841/ 1422-1438) (Damas: Institut français de Damas 1961), 43.

(٣) الأمير شمس الدين أرغون شاه النوروزي الأعور ولي الأستادارية للمرة الثانية في ٥ ذو القعدة ٨٢٥هـ / ٢١ أكتوبر ١٤٢٢م وعزل في ٢٧ شوال ٨٢٦هـ / ٢ أكتوبر ١٤٢٣م وتوفي بدمشق في شهر رجب سنة ٨٤٠هـ / يناير ١٤٣٧م وهو أستاذار السلطان بها. ابن تغري بردي، المنهل، ج. ٢، ٣٢٤، رقم ٣٧٧؛ الدليل، ج. ١، ١٠٨-١٠٩، رقم ٣٧٥؛

Ahmad Abd AR-Râziq, "Le vizirat", 220, n°117; Marwa Hamdîal-Ustâdârîyah, vol. I. 424-425, n°76.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج. ٤، ق. ٢، ٦٤٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج. ١٤، ٢٥٨؛ الصيرفي، نزهة، ج. ٣، ٢٩؛ عبد الباسط بن شاهين الظاهري، نيل، ج. ٤، ١٤٠؛ ابن إياس، بدائع، ج. ٢، ٨٨؛ Ahmad Darrag, L'Égypte, 43

(٥) أبراج القلعة كانت مخصصة أساساً لسكن المماليك ولهذا سمي المماليك الذين اشتراهم السلطان المنصور قلاوون بالبرجية ويبدو أن البعض منها تحول إلى سجون للمماليك العصاة والخارجين عن طاعة السلطان؛ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر (القاهرة: مطبعة الواعظ بضرب الجمايز، ١٩٠٦)، ٢٣٣-٢٣٤؛ أحمد عبد الرازق أحمد، الجيش المصري في العصر المملوكي (القاهرة: ١٩٩٨)، ١٥.

(٦) الصيرفي، نزهة، ج. ٣، ٢٩-٣٠.

أطلق سبيل بدر الدين حسن بن نصر الله وعوق ولده بالقلعة ثم أطلق ولده صلاح الدين واستقرا في بيتهما بطالين^(١).

ومما يتصل بمصطلح التعويق ما كان من نتائج سياسة السلطان الأشرف برسباي العسكرية تجاه قبرص -والتي اقتضت إرسال ثلاث حملات لغزو قبرص بعد تعديهم على هيبة الدولة المملوكية وتهديدهم لتجارتهما في البحر المتوسط- وقوع أسرى من المسلمين هناك. فقام الشيخ محمد بن قديدار بإرسال ولده لصاحب قبرص جانوس يسأله عن إطلاق من عنده من أسرى المسلمين في ربيع الأول ٨٢٨هـ/ فبراير ١٤٢٥م ليسعى له في التمكين من زيارة كنيسة القيامة فعوقه صاحب قبرص فضج أبو محمد بن قديدار مما دفع السلطان الأشرف برسباي إلى تجهيز عسكري لجزيرة قبرص ففتح له عدة من بلاد الفرنج وفك عددًا من أسرى المسلمين وقتل وسبى وغنم بحيث قيل إن عدد المقتولين من الفرنج في نصف شهر بلغ خمسة آلاف نفس ولم يقتل من المسلمين طوال هذه المدة إلا ثلاث أنفس^(٢). وقد رجع المجاهدون بعد نجاح الحملة الثانية إلى القاهرة يوم الاثنين ٢ شوال ٨٢٨هـ/ ١٧ أغسطس ١٤٢٥م وبصحبته ملك قبرص جانوس في غاية الذل والهوان والتنكيل وهو راكب بغلة عرجاء ثم رسم السلطان الأشرف برسباي بتعويق صاحب قبرص في برج من أبراج القلعة^(٣) فكان يومًا مشهودًا^(٤) أثبتت فيه الدولة المملوكية المملوكية أنها قادرة على رد الإساءة لمن تهاون بقدرها.

ونادرًا ما يكون التعويق فألاً حسنًا على الشخص المعوق إذ يأمر السلطان بالإفراج عنه وينعم عليه برتبة كبيرة كنوع من أنواع الترضية. ففي أوائل جمادى الأولى ٨٣٠هـ/ ٢٨ فبراير ١٤٢٧م، أمر السلطان الأشرف برسباي بإحضار الأمير تمرياي الذي كان معوقًا بسجن دمياط^(٥) حين أمسك وأمر بإحضاره إلى الأبواب الشريفة فحضر وأقام مدة ثم أنعم عليه السلطان الأشرف برسباي بتقدمة ألف بحلب فسافر^(٦).

وفهم كذلك أن التعويق كان جزاءً للمتآمرين ضد السلطان أو من يقومون بإخفاء بعض المعلومات المهمة عنه ولم يكن التعويق وحده هو عاقبة هؤلاء التآمرين بل اقترن ببعض العقوبات الأخرى مثل العزل والتسفير. ففي يوم

(١) الصيرفي، نزهة، ج. ٣، ٦٧. البطالون هم الأجناد والأمراء العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها نتيجة غضب السلطان أو كبر السن أو الاضطرار إلى الاعتكاف والاختفاء لمجرد حب الانزواء والابتعاد. على إبراهيم طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (القاهرة: ١٩٦٠)، ٢٤٥؛

Ayalon, "Discharges", V, 38; J. Loiseau, "L'émir en sa maison parcours politiques et patrimoine urbain au Caire, d'après les biographies de Manhal al-Safi", AnIsl, XXXVI, 2002), 129 ;

سند أحمد عبد الفتاح، "الأمراء البطالة زمن سلاطين المماليك"، حوليات آداب عين شمس، ج ٣٦ (القاهرة: يوليو- سبتمبر ٢٠٠٨)، ٨٨.

(٢) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ط. ١، تحقيق بشار عواد معروف، عصام فارس الحرساني وأحمد الخطيمي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥)، ج. ٢، ٤٨٤.

(٣) الصيرفي، نزهة، ج. ٣، ٩٤.

(٤) السخاوي، وجيز، ج. ٢، ٤٨٤.

(٥) سجن دمياط كان واحدًا من سجون الشرائع العسكرية من الأمراء دون غيرهم من المماليك. علاء طه رزق، السجون، ٣٢.

(٦) الصيرفي، نزهة، ج. ٣، ١١٦.

السبت ٤ شوال ٨٣١هـ / ١٧ يوليو ١٤٢٨م عندما أمسك السلطان الأشرف برسبای الأمير قطج من تمتاز أحد المقدمين بالديار المصرية والأمير شرباش قاشوق وسفر قطج من يومه إلى الإسكندرية أما شرباش فعوقه بالركبانا^(١) إلى بكرة النهار ثم سفر إلى دمياط بطلاً وسبب إمساکهما جانبك الصوفي المتواري من السلطان لأمر صدر منهما^(٢).

وتشهد بيوت الأمراء واقعة تعويق جديدة يعقبها تسفير ففي يوم الأربعاء ٥ ذو الحجة ٨٣١هـ / ١٥ سبتمبر ١٤٢٨م مسك السلطان الأشرف برسبای الأمير أزيك المحمدي الدوادر الكبير^(٣) وعوق ليلة الخميس عند الأمير جقمق العلائي الظاهري أمير آخور كبير ثم سفر إلى القدس الشريف صحبة الأمير قراجا أمير رأس نوبة صغير^(٤).

وكما سبق واشرنا من قبل إلى تعرض رسل الملوك والسلاطين للتعويق خاصة إذا كانت رسائلهم تحمل في طياتها ما يثير غضب سلاطين المماليك أو ما يعتبرونه تدخلاً سافراً في الشأن الداخلي استلزم الرد عليه وهو ما حدث بالفعل في رجب ٨٤٧هـ / نوفمبر ١٤٤٢م عند قدوم رسل صاحب الحبشة ومعهم هدية وأشار أن عندهم عدداً كبيراً من المسلمين وهم مكرمون وأن النصارى في مصر عددهم قليل وهم مهانون وسأل في إكرامهم وعمارة أماكن لهم مما هدم ولوح بقدرته على حبس النيل عن مصر لأنه ينحدر من بلادهم فغضب السلطان الظاهر جقمق ومع ذلك جهز رسولاً بهدية ورسالة تتضمن عدم الموافقة على مجموع ما طلبه صاحب الحبشة مشيراً أن النصارى في الديار المصرية قد كثر تعديهم واستطالتهم بالمبالغة في بناء الكنائس فلم يرتض صاحب الحبشة بهذا وعوق الرسول^(٥).

وقد كان قيام السلطان الملك المنصور عثمان بتعويق بعض الأمراء سبباً في عزله ففي يوم الاثنين أول ربيع الأول ٨٥٧هـ / ١٠ مايو ١٤٥٣م بعدما أعلن السلطان أن النفقة على العسكر تكون في هذا اليوم إلا أن كثيراً من

(١) الركبانا هي المكان الذي يوضع به آلات الخيل مما تدعي الضرورة إليه وقيل أن عدة ما بالركبانا هو ما تحتاج الضرورة إليه والذي بلغ ثلاثة آلاف قطعة مختلفة الأسماء والألوان ولها مهتار وركابدارية وسنجدارية ومهمزدارية. القلقشندي، صبح، ج. ٤، ١٢؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة، ١٢٤؛ Gaudefroy-Demombynes, La Syrie, LIII؛ عبد المنعم ماجد، نظم سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج. ٢ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٧)، ٢٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٠)، ٧١.

(٢) الصيرفي، نزهة، ج. ٣، ١٣٤.

(٣) الأمير سيف الدين أزيك بن عبدالله المحمدي الظاهري برقوق كان رأس نوبة النوب ثم استقر في الدوادرية الكبرى في ٢٧ ربيع الأول ٨٢٧هـ / ٢٨ فبراير ١٤٢٤م وعزل في ٦ ذو الحجة ٨٣١هـ / ١٦ سبتمبر ١٤٢٨م وتوفي بالطاعون في ١٦ ربيع الأول ٨٣٣هـ / ١٣ ديسمبر ١٤٢٩م. المقرئزي، السلوك، ج. ٤، ق. ٢، ٦٥٤، ٧٨٣، ٨٤٢؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج. ١، ١١١-١١٢، رقم ٣٨٥؛ السخاوي، الضوء، ج. ٢، ٢٧٣، رقم ٨٤٨؛ ابن إياس، بدائع، ج. ٢، ٩١، ١٢١، ١٢٧؛ هبة محمود سعد عبد النبي، "الدوادر في مصر المملوكية وأهم أعماله الفنية والمعمارية" (رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية: ٢٠١٦)، ٢٥٥-٢٥٦، رقم ٥٩.

Hiba Yûsuf, "Le chef", Journal of Association of Arab Universities for Tourism and Hospitality, VIII/ 2, 95, n°60

(٤) الصيرفي، نزهة، ج. ٣، ١٣٦.

(٥) السخاوي، وجيز، ج. ٢، ٥٨٩ - ٥٩٠.

البرقوقية- الناصرية- المؤيدية- الأشرفية وبعض الظاهرية كانوا قد وقفوا بالرميلة من تحت القلعة لمنع الأمراء من طلوع الخدمة. فجمع العسكر في دار الأتابك^(١) إينال العلاني الذي لم يكن معارضاً لصنيعهم وذاع بينهم أنه الأقوى في الدولة وأحضروا أيضاً أمير المؤمنين القائم بأمر الله الثاني وأرسلوا إلى السلطان المنصور عثمان يطلبون منه إرسال كل من الدوادر الكبير يشبك من مهدي^(٢) والثاني وهو لا يجيبهم لظنه أنه الأقوى وعوق معظم القصاد ثم ترمى الفريقان بالنبل والمكاحل ثم أرسل الملك المنصور إليهم من كان عوقه من قصادهم مع جماعة من أهل ثقته بالصلح والأمان وتكرر ذلك مرتين وكثر الكلام من الجهتين وانتهى الأمر إلى عرض الخليفة العباسي القائم بأمر الله الثاني على الأتابك إينال أمر السلطنة ودعاء الأمراء له فأعلن عزل السلطان الملك المنصور عثمان ولقب الأتابك بالأشرف وتولى السلطنة واعترف الخليفة له بالسلطنة^(٣).

وقد يصاحب الحملات أحياناً توقيع التعويق لتأديب أهالي الجهة المستهدفة من الحملات فيذكر الصيرفي في حوادث يوم الجمعة ٢٢ جمادي الأولي ٨٧٣هـ/ ١٠ أكتوبر ١٤٦٨م قدوم المقر الأشرف الوزير والدوادر الكبير يشبك من مهدي من بلاد الصعيد بعدما نهب أهلها وبدد شملهم وخرّب عدة قرى من شرقي بلاد الصعيد وفي صحبته عدد من العريان ونسائهم وأولادهم نحو أربعمئة نفر إلى ساحل بولاق في المراكب بعد أن مات عدد كبير منهم بسبب الجوع والبرد وجعلهم في وكالة الأتابك قائم فاشترى لهم بعض الناس أردبي فول صحيح ورمى لهم فأكلوا في الحال من شدة الجوع والحاجة ولا أحد يعرف هدف الدوادر من حبس هؤلاء النسوة بواسطة تعويقهن فشرع أزواجهن في قطع الطريق وأخذوا بعض مراكب الغلال القادمة من بلاد الصعيد ونهبوا ما فيها ثم أحرقوا المراكب. وقد فعلوا ذلك في عدة مراكب فارتفع سعر القمح وغيره من الغلات. وقد كان لسفر الدوادر إلى الصعيد منافع ومفاسد كثيرة فمن الصالح قتل ابن جامع وسلخه ونهب بني هلب فقد كانوا أشر من كان ومن المفاسد خراب البلاد التي كان بنو هلب يلجأون إليها وحضور هؤلاء النسوة إلى القاهرة^(٤).

ويشير السخاوي إلى تعويق الشيخ تقي الدين من الأوجاقي أحد شيوخ الشافعية في ذي القعدة ٨٩٥هـ/ أكتوبر ١٤٩٠م بسبب كونه وصياً للعلاني أمير على بن تغري بردي^(٥).

(١) أصله بالتركية "أتابك" أي أب أمير، الذي يعبر عنه بالأمير الكبير أي القائد العام للجيش المملوكية، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب وكثيراً ما أسند إليه الوصاية على ولي العهد السلطان القاصر، ومع ذلك فقد ذكر القلقشندي أن أتابك العسكر في عصره لم يكن له وظيفة وإنما تدل على رفعة المحل وعلو المقام. القلقشندي، صبح، ج. ٤، ١٨.

(٢) الأمير يشبك من مهدي الظاهري جقمق استقر في الدوادرية الكبرى في ١٣ جمادي الآخرة ٨٧٢هـ/ ٩ يناير ١٤٦٨م واستمر في الوظيفة حتى قتل في رمضان ٨٨٥هـ/ نوفمبر ١٤٨٠م. علي بن داود الجوهري الصيرفي، أنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢)، ٤٩٥؛ ابن إياس، بدائع، ج. ٣، ١٧٣؛ هبة سعد عبد النبي، الدوادر، ٢٥٩-٢٦٠، رقم ٧٠.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج. ١٦، ٤٢؛ منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج. ١، تحقيق ويليام بوبر (كاليفورنيا: ١٩٩٠)، ٣٤٧-٣٤٩؛ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، ج. ٤، تحقيق لبيبة إبراهيم مصطفى ونجوي مصطفى كامل (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢)، ٨٨-٨٩.

(٤) الصيرفي، إنباء، ٤٤-٤٥.

(٥) السخاوي، وجيز، ج. ٣، ١١١٧.

وكما كان التعويق غير مبررٍ أحياناً كذلك كان العدول عنه. فقد يتراجع السلطان عن قراره بشأن تعويق أحد الأمراء دون إبداء الأسباب مثلما حدث في جمادى الأولى ٩٠٦هـ / ديسمبر ١٥٠٠م عندما أراد السلطان قانصوه الغوري تعويق الأمير طراباي بالقلعة ثم بدا له ترك هذا الأمر بعد ساعة^(١) وهو ما يؤكد أن إصدار قرار التعويق والاطلاق يسيطر عليه الهوى الشخصي للسلطان.

ومن الوقائع السابقة، يتضح لنا أن التعويق بمعنى الحبس كان إحدى العقوبات السالبة للحرية والتي كان يأتي على قائمتها عقوبات الحبس والسجن والترسيم ولكن مع وجود اختلافات فرقت بينهم: فالحبس يطلق على المدة التي لا تتقص عن ٢٤ ساعة ولا تزيد على ثلاث سنوات بينما السجن يطلق على المدة التي لا تتقص عن ثلاث سنوات^(٢) أما الترسيم أو الاعتقال فلغة يعني الحبس، ويقصد بالمرسم عليه أو المعتقل الشخص الموقوف قبل المحاكمة، ويعرف رجال القانون المعتقل بأنه حبس المتهم ووضع قيد الإقامة الجبرية ومنعه من ممارسة حقوقه حتى تتم محاكمته أي أنه شكل من أشكال الحبس لحين البدء في محاكمته^(٣). ولكن طبيعة الحبس المؤقت في حالات التعويق كانت تختلف تمامًا عن الإجراءات المتبعة حيال المسجونين أو المحبوسين أو المعتقلين. ففي حالات السجن العادية كان المتهم أيًا كانت رتبته العسكرية أو الوظيفية بعد أن يتم القبض عليه يساق إلى السجن مكبلاً بالقيود والأغلال^(٤) وهو ما يؤكد كون القيود والأغلال جزءاً أساسياً من إجراءات القبض على المتهم قبل إيداعه السجن وكان إعفاء البعض من وضع هذه القيود يعد أمراً استثنائياً من قبل السلطان يمنحه لمن يشاء^(٥) وهو ما لم يكن متبعاً في حالات التعويق بمعنى الحبس المؤقت.

ومن العرض السابق، يتضح أن العصر المملوكي عرف نوعين من التعويق بمعنى الحبس: الأول يعني الحبس الاحترازي والثاني هو الحبس التأديبي. والحبس الاحترازي لا يأتي على سبيل العقوبة، بل على سبيل الاحتياط في دفع أضرار قد تلحق بالمصلحة العامة لوجود شخص بعينه طليقاً. وقد ارتبط التعويق الاحترازي بتولي بعض السلاطين للحكم الذين خشوا من نفوذ بعض الأمراء غير الموالين لهم فقاموا بتعويقهم حتى يأمنوا شرهم ويضعفوا جبهتهم السياسية دون الإقدام على تصفيتهم حتى لا يثيروا حقد أتباعهم وانتقامهم. هذا وتتقضي مدة التعويق الاحترازي بزوال موجهه، وبالاطمئنان إلى عدم حدوث ضرر من إطلاق المعوق. بينما كان الحبس التأديبي عقاباً على ارتكاب بعض الأمراء والمماليك والشيوخ لأفعال غير مرضية. كما يتضح أيضاً من الوقائع السابقة أن المحبوس احترازياً كان يعامل معاملة أفضل من المعوق بغرض التأديب من حيث المكان المخصص للتعويق وتوفير سبل الحياة الكريمة.

(١) ابن إياس، بدائع، ج. ٣، ٤٥٦.

(٢) حسن أبو غده، أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، ط. ١ (الكويت: مكتبة المنار، ١٩٨٧)، ٤٠.

(٣) حسن أبو غده، أحكام، ٤٢.

(٤) علاء طه رزق، السجن، ٧٤.

(٥) علاء طه رزق، السجن، ٧٥.

ثانياً: التعويق بمعنى التعطيل أو التأخير

وقد كشفت دراسة المصادر المملوكية عن وجود مصطلح التعويق ولكن بمعنى آخر بعيداً تماماً عن معنى الحبس وهو التعطيل أو التأخير. وفي إطار المعنى السابق يشير ابن تغري بردي في وقائع يوم الأحد ٤ رجب ٨٥٤هـ / ٢٣ أغسطس ١٤٥٠م إلى قيام الأمير خاير بك النوروزي نائب غزة بإرسال كتاب يتضمن مرض أبي الخير النحاس^(١) ويسأل السلطان الظاهر جقمق أن يقيم بغزة حتى يشفى، ثم يسافر إلى طرسوس، فكتب إليه بالتوجه إلى طرسوس "دون أن يتعوق يوماً واحداً"^(٢).

وقد يكون هذا التعطيل أو التأخير لبعض المستحقات المالية لفئة من فئات المماليك وتعود أولى وقائع هذا النوع من التعويق الذي كان المعوق فيه غير عاقلٍ متمثلاً في الجوامك إلى عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م) وتحديداً في عهد السلطان الأشرف إينال في يوم الخميس ٦ شعبان ٨٥٨هـ / أول أغسطس ١٤٥٤م، أمر السلطان بتعويق جوامك أولاد الناس^(٣) والمرتبين من الضعفاء والأيتام على ديوان السلطان وبينما هو في ذلك وصل الأمير بردبك من القدس وحذر السلطان الأشرف إينال من الدعاء عليه ونهاه عن هذه الفعلة فاستجاب له ونودي بذلك بشوارع القاهرة فعد من محاسن بردبك^(٤).

ومن جانبه يروي الصيرفي أنه عند انقضاء شهر صفر ٨٧٣هـ / سبتمبر ١٤٦٨م، لم ينفق السلطان الأشرف قايتباي الجامكية على أولاد الناس ولا الفقهاء والمنجمين ولا على كبار رجال الدولة وعوقوا الجميع ولم ينفق عليهم فوعدهم أن يصرف لهم بعد الانتهاء من نفقة المماليك السلطانية وخاطبه الأعيان في ذلك وحذروه من قطع الأرزاق فأجاب أنه ينفقهم في ٨ ربيع الأول ٨٧٣هـ / ١٩ نوفمبر ١٤٦٨م وأخذ الناس يتألمون من الغلاء وهبوط مستوى النبل وتشريق الأراضي والسبب في ذلك فتنة سوار وما أرسل بسببها من تجاريد أدت إلى نفاذ ما في الخزائن من الأموال^(٥).

وقد يكون التعويق أمراً سلطانياً يهدف إلى تأمين الطريق وتسهيله أمام السلطان مثل تعطيل الحجيج حتى يتمكن السلطان من إتمام زيارته للمدينة الشريفة وهو ما أشار إليه بن طولون عندما طلب السلطان الأشرف قايتباي من

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد المصري الأصل والمولد، الشافعي وكنيته أبو الخير وكنيته أشهر. نشأ تحت كنف والده وحفظ القرآن، وتعلم من والده وجده صناعة عمل النحاس، ومهر فيه واتخذ له سوقاً بسوق النحاس بخط الشوائين بالقرب من دكان أبيه. وكان من الأوباش الذين قربهم الظاهر جقمق وتعاضم أمره في عهده وشغل عدة وظائف منها وكالة بيت المال ونظر المارستان المنصوري ونظر الجوالي ونظر خانقاه سعيد السعداء. ولكن علاقته بالسلطان فسدت فأمر بإخراجه إلى طرسوس. ابن تغري بردي، النجوم، ج. ١٥، ٤١٠-٤١٣، ٤١٧؛ الدليل، ج. ٢، ٨٢٨، رقم ٢٧٨٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج. ١٥، ٤٢٥.

(٣) أولاد الناس هم أبناء الأمراء الذين عاشوا في بيوت الإمارة والنعمة لا في الطباق والتربية الحربية الخشنة. السيد البار العريني، المماليك (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٧)، ١٦٤، أحمد عبد الرزاق، الجيش، ٧٦.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج. ١٦، ٨٢-٨٣.

(٥) الصيرفي، إنباء، ١٦.

أمير الحاج الشامي في ٢٠ محرم ٨٨٥هـ / أوائل أبريل ١٤٨٠م أن يتعوق يومين إلى أن يزور المدينة الشريفة ويسافر ثم يدخل هو بالركب الشامي مما تسبب في حدوث شدة لهم ودعوا على السلطان الأشرف قايتباي^(١).

ويروي المؤرخ نفسه واقعة أخرى تدل على استخدام مصطلح التعويق بمعنى التعطيل أو التأخير عندما أشار إلى وصول مرسوم في آخر شهر رمضان ٩٠٢هـ / مايو ١٤٩٧م باستمرار نقيب القلعة^(٢) المعزول فعوق الجديد بترية تتم ليراجع السلطان الناصر محمد وبقي النقيب الجديد بالترية^(٣).

وفي إطار الأزمات الاقتصادية التي ألمت بالدولة الجركسية لجأ بعض السلاطين إلى التعويق الجزئي للمستحقات المالية لجماعة بعينها من المماليك إذ يشير بن إياس من جانبه إلى قيام السلطان قانصوه الغوري بإنفاق الجامكية الخامسة التي حددها لأجل المماليك التراكمة وأولاد الناس في ربيع الأول ٩١٨هـ / يونيو ١٥١٢م وقيل أنه عوق جامكية جماعة منهم^(٤).

وقد عُوِّق الخلع أيضًا لأسباب مختلفة: فقد تكون رداءة الخلع^(٥) سببًا في تعويقها إذ قام السلطان قنصوه الغوري بتعويق خلع العيد بعد عرضها في يوم الأربعاء ٢٨ رمضان ٩١٨هـ / ٧ ديسمبر ١٥١٢م لأنهم كانوا في هذه السنة في غاية السوء وهي بحكم النصف بسبب سفر ناظر الخاص إلى الحجاز^(٦). وفي إطار معنى التعطيل والتأخير يشير المؤرخ نفسه إلى قيام جان بردي الغزالي نائب الشام في شعبان ٩٢٢هـ / سبتمبر ١٥١٦م بمنع وصول الأخبار إلى مصر وتعويقه للعسكر بالشام^(٧).

ثالثًا: التعويق بمعنى المنع

وفي بعض الأحيان يكون العائق أيضًا غير عاقلٍ متمثلًا في صورة ظرف طبيعي منع المعوق تمامًا من التقدم وإنجاز مهامه مثل المطر وهو ما حدث في ١١ شوال ٧٤٦هـ / ١٢ يناير ١٣٤٦م عندما خرج المحمل والحاج

(١) شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان تاريخ مصر والشام، ج. ١ (القاهرة: ١٩٦٢)، ١٠.

(٢) هذه الوظيفة يتولاها أمير عشرة بمرسوم شريف، يكتب له من الأبواب الشريفة. القلقشندي، صبح، ج. ٤، ١٨٦.

(٣) ابن طولون، مفاكهة، ج. ١، ١٧٥-١٧٦.

(٤) ابن إياس، بدائع، ج. ٤، ٢٦٠.

(٥) الخلع هي الملابس المهداة من السلطان إلى كبار الأمراء في مناسبات خاصة أهمها التعيين في الوظائف الكبرى. سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام (القاهرة: ١٩٩٤)، ٤٠٩.

(٦) ابن إياس، بدائع، ج. ٤، ٢٨٦.

(٧) ابن إياس، بدائع، ج. ٥، ٨٢.

وخرج خلق عظيم وتجار كثيرون جدًا فلما وقع المطر الكثير فرح الناس به لأن المطر كان قليلاً جدًا في شهر رمضان فتوحد الحاج في أحوال وزلق كثير فعوق المطر الحجيج أياماً^(١).

وقد يكون العائق أيضًا مرضًا منع صاحبه من التقدم وعطله عن القيام بمهامه مثلما حدث في ٢٣ ذو الحجة ٨٩٥هـ / ٧ نوفمبر ١٤٩٠م عندما وصل مرسوم يطلب القاضي كمال الدين بن خطيب حمام الورد والقاضي شعيب نائب القاضي الشافعي وكان القاضي الشافعي قد أصابته حمى عوقته عن السفر^(٢).

وفيما يلي جدول (١) يلخص مصطلح التعويق ومعانيه المختلفة وفقًا لما ورد في المصادر المملوكية

جدول (١) مصطلح التعويق ومعانيه المختلفة وفقًا لما ورد في المصادر المملوكية*

م	السنة	المعنى	العائق	المعوق	المكان	سبب التعويق	المدة	نهاية التعويق
١	٦٥٧هـ / ١٢٥٩م	حبس	قطز	الملك المنصور على	الدور السلطانية	تزامنًا مع العزل	شهور	نفي
٢	٧ جمادي الآخرة ٦٧٥هـ / ١٦ نوفمبر ١٢٧٦م	حبس	قطز	الأمير الكبير عز الدين الركني الظاهري المعروف بسم الموت	السجن بقلعة الجبل بالقاهرة	بلغ السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري عنه أشياء غير مرضية	خمس سنين	موته بسجن القلعة
٣	٢٩ رمضان ٦٧٨هـ / ٥ فبراير ١٢٨٠م	حبس	علم الدين الشجاعي	الوزير برهان الدين الخضر السنجاري + ابنه شمس الدين من صاحب	دار علم الدين الشجاعي	تزامنًا مع العزل	أيامًا	مصادرة خيولهما وخيول أتباعهما وأخذها والقبض على حجابهما وخدامهما

(١) ابن قاضي شعبة، تاريخ، ج. ١، ٤٥٠-٤٥١.

(٢) ابن طولون، مفاكهة، ج. ١، ١٣٣-١٣٤.

* الجدول من إعداد الباحثة.

التعويق زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

م	السنة	المعنى	العائق	المعوق	المكان	سبب التعويق	المدة	نهاية التعويق
٤	٧ ذو القعدة ١٨/٧٠٨هـ أبريل ١٣٠٩م	حبس	-	الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصي	المسجد	هدمه للكنائس	أيامًا	أُفرج عنه
٥	رمضان ٧٠٩هـ/ فبراير ١٣١٠م	حبس	السلطان الناصر محمد بن قلاون	الأمير اسندمر كرجي	القلعة	إحضار السلطان المظفر بيبرس جاشنكير	أيامًا	-
٦	١٢ شوال ١٤/٧٠٩هـ مارس ١٣١٠م	حبس	-	الوزير ضياء الدين أبو بكر النشائي	القلعة	تزامنًا مع العزل	أيامًا	أُفرج عنه ولم يدفع مالًا
٧	٦ شوال ٧١١هـ/ ١٥ فبراير ١٣١٢م	حبس	-	الصاحب أمين الدين عبدالله بن الغنام + التاج عبد الرحمن الطويل	القلعة	-	-	قرر عليهما مال ودفعاه وهما معوقان دون تعيين أحد
٨	٧١١هـ/١٣١٢م	حبس	-	الصاحب عز الدين حمزة القلانسي وزير دمشق	الشام	تزامنًا مع العزل	-	دفع أربعين ألفًا ثم أُفرج عنه وجاء إلى القاهرة وأمر السلطان بإعادة ما دفعه فعاد إلى دمشق واستعاده
٩	جمادى الآخرة ٧٢٣هـ/يونيو ١٣٢٣م	حبس	-	جماعة من المماليك	-	ورقة وجدت تحت كرسي السلطان الناصر محمد بن قلاون فيها سياب وتوبيخ	-	إخراج عدة من المماليك إلى بلاد وسجن جماعة أخرى

التعويق زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

م	السنة	المعنى	العائق	المعوق	المكان	سبب التعويق	المدة	نهاية التعويق
١٠	٢٣ من ذي الحجة ٧٤٠هـ / ٢٠ يونيو ١٣٤٠م	حبس	-	الأمير تتكز	دمشق	تغير خاطر السلطان الناصر محمد بن قلاوون عليه	-	استسلم وجهاز سيفه للسلطان وأُرسِل إلى القاهرة ومنها إلى سجن الإسكندرية في حراسة
١١	جمادى الآخرة ٧٧٨هـ / نصف أكتوبر - نصف نوفمبر ١٣٧٦م	حبس	-	ناظر الدولة أمين الدين مين	قاعة الصاحب بالقلعة	-	أيامًا	-
١٢	٣ رمضان ٧٩١هـ / ٢٦ أغسطس ١٣٨٩م	حبس	الأمير تمرغا منطاش	الأمير قردم الحسني	الإصطبل السلطاني	رفضه كتابة خطة في الفتاوى	-	-
١٣	ذو الحجة ٧٩١هـ / ديسمبر ١٣٨٩م	حبس	الأمير تمرغا منطاش	شمس الدين الرركراكي مدرس الشيخونية	الإصطبل السلطاني	-	-	ضُرب مائة؟؟ ورُسم عليه
١٤ (أ)	٨ صفر ٧٩٨هـ / ٢٢ نوفمبر ١٣٩٥م	حبس	-	الأمير ناصر الدين محمد بن محمود	القلعة	-	-	أخذت منه أموالاً بلغت مائة ألف دينار
١٤ (ب)	٨ صفر ٧٩٨هـ / ٢٢ نوفمبر ١٣٩٥م	حبس	-	القاضي سعد الدين بن غراب	بيت الطواشي زين الدين صندل المنجكي الخازندار	-	-	-
١٥	٧٩٩هـ / ١٣٩٧م	حبس	-	رسل تيمور لاناك	الشام	لإعلام المغول بقدرة المماليك على مهاجمتهم	-	-

التعويق زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

م	السنة	المعنى	العائق	المعوق	المكان	سبب التعويق	المدة	نهاية التعويق
١٦	٢١ شوال ٨٠١هـ / ٢٦ يونيو ١٣٩٩م	حبس	السلطان الناصر فرج بن برقوق	تمريغا المنجكي حاجب الميسرة ويبلغا الأحمدى استادار العالية	القلعة	لأنهم اتفقوا أن ينزلوا بين السلطان الأشرف شعبان في زي النساء ويقيمونه في السلطنة فكشف أمرهم جقمق الخاصكي الظاهري	-	-
١٧	٦ محرم ٨٠٢هـ / ٨ سبتمبر ١٣٩٩م	حبس	تتم نائب دمشق	شاد الدواوين شهاب الدين أحمد بن حسن	دمشق	لأن السلطان الظاهر برقوق كان قد أرسله إلى بلاد الشام لتحصيل الأموال والأغنام وقد جمع الكثير	-	-
١٨	٢١ شوال ٨٠٣هـ / ٤ يونيو ١٤٠١م	حبس	يشبك الشعباني	مجموعة من الأمراء	-	لتدبيره فتنة ضد السلطان الناصر فرج بن برقوق	-	-
١٩	٢١ شوال ٨٠٣هـ / ٤ يونيو ١٤٠١م	حبس	سودون طاز	الأمير نوروز الحافظي	-	لإجبار يشبك الشعباني على ملاقة غرمائه	-	-

التعويق زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

م	السنة	المعنى	العائق	المعوق	المكان	سبب التعويق	المدة	نهاية التعويق
٢٠	٢٦ ذو القعدة ١٤٠٣هـ / ٦ يوليو ١٤٠١م	حبس	المماليك	سعد الدين بن غراب	القلعة	بسبب النفقة	أياماً	ضرب وعُوق ثم تركوه ينزل إلى بيته
٢١	١٠ شوال ١٣هـ / ١٣ مايو ١٤٠٢م	حبس	المماليك السلطانية	القضاة	القلعة	-	٤ أيام	-
٢٢	٢٩ من ذي القعدة ٨٠٥هـ / ٢٠ يونيو ١٤٠٣م	حبس	المماليك السلطانية	الأستادار يلبغا السالمي وبعض الأمراء	باب السلسلة بالقلعة	تأخير النفقات والجوامك	لحين سداد باقي النفقة	وكل به حتى يكمل نفقة المماليك
٢٣	٢١ محرم ١٠هـ / ١٠ أغسطس ١٤٠٤م	حبس	-	الأستادار يلبغا السالمي	باب السلسلة بالقلعة	امتصاص غضب المماليك بسبب تأخر النفقة	أياماً	ضرب + تفسير للاعتقال بالإسكندرية
٢٤	١٢ ذو الحجة ١١هـ / ١١ يونيو ١٤٠٥م	حبس	جمال الدين الاستادار	يلبغا السالمي	باب السلسلة بالقلعة	-	-	مصادرة جميع أملكه
٢٥	٩ شوال ٨١٥هـ / ١٢ يناير ١٤١٣م	حبس	-	كاتب السر فتح الله	قلعة الجبل	-	-	توقيع الحوطة على داره عُصر وضُرب وقُبض على حواشيه وقرر عليه مائتي ألف دينار وعند الوزن الزم بـ خمس مائتي ألف دينار
٢٦	جمادى الأولى ٨١٦هـ / أغسطس ١٤١٣م	حبس	-	ناظر الخاص تقي الدين بن ابي شاعر	القلعة	-	-	رسم عليه

التعويق زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

م	السنة	المعنى	العائق	المعوق	المكان	سبب التعويق	المدة	نهاية التعويق
٢٧	ذو الحجة ٥٨١٦هـ / مارس ١٤١٤م	حبس	السلطان المؤيد شيخ	الخليفة العباسي المستعين بالله الثاني	-	خلع السلطان المؤيد شيخ للخليفة المستعين بالله الثاني وتعيين أخيه داوود والذي لقب بالمعتضد بالله	-	-
٢٨	١٢ ربيع الأول ١٠ / ٥٨١٩هـ مايو ١٤١٦م	حبس	-	الأستادار بدر الدين حسن بن محب	القلعة	-	ساعات	شفع فيه الأمير جقمق الدوادر وتم تسليمه له على أن يدفع ثلاثمائة ألف دينار
٢٩	٢٧ شوال ١٣ / ٥٨٢٦هـ أكتوبر ١٤٢٣م	حبس	-	أرغون شاه الأستادار والوزير	قلعة الجبل (البرج)	تأخر الجامكية وإظهار العجز	أيامًا	ضرب ضربًا مؤلمًا ثم وقعت فيه الشفاعة بعد أن قرّر عليه مالٌ كثيرٌ من الذهب ونزل إلى بيته
٣٠	٨ رمضان ١٤ / ٥٨٢٧هـ أغسطس ١٤٢٤م	حبس	-	القاضي بدر الدين حسن ناظر الخاص وابنه صلاح الدين	القلعة	-	يومين ثلاثة ثم لحقه ابنه	طلب منهما ثلاثين ألف دينار ثم استقرا بطلين في بيتهما
٣١	ربيع الأول ٥٨٢٨هـ / فبراير ١٤٢٥م	حبس	صاحب قبرص	ابن الشيخ محمد بن قديدار	قبرص	لأنه طلب منه إطلاق أسرى المسلمين	-	-

التعويق زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

م	السنة	المعنى	العائق	المعوق	المكان	سبب التعويق	المدة	نهاية التعويق
٣٢	٢ شوال ٨٢٨هـ / ١٧ أغسطس ١٤٢٥م	حبس	عسكر السلطان الأشرف برسباي	صاحب قبرص	برج من أبراج القلعة	بسبب تعويقه لابن الشيخ محمد بن قديدار	-	-
٣٣	أوائل جمادى الأولى ٨٣٠هـ / ٢٨ فبراير ١٤٢٧م	حبس	-	الأمير تمرياي	سجن دمياط	-	-	حضر بأمر سلطاني وأنعم عليه بتقدمة ألف ثم سافر
٣٤	السبت ٤ شوال ١٧ / ٨٣١هـ يوليو ١٤٢٨م	حبس	-	شرباش قاشوق	في الركابخانا	بسبب هروب جانبك الصوفي المتواري عن السلطان	يوم	تسفيره بطالاً إلى دمياط
٣٥	٥ ذو الحجة ١٥ / ٨٣١هـ سبتمبر ١٤٢٨م	حبس	-	الأمير أزبك المحمدي الدوادر	عند أمير أخور كبير	-	ليلة	تسفيره إلى القدس صحبة الأمير قراجا أمير رأس نوبة صغير
٣٦	رجب ٨٤٧هـ / نوفمبر ١٤٤٢م	حبس	صاحب الحيشة	رسول السلطان الظاهر جقمق	الحيشة	رفض السلطان الظاهر جقمق لطلب صاحب الحيشة بشأن النصارى وبناء الكنائس	-	-

التعويق زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

م	السنة	المعنى	العائق	المعوق	المكان	سبب التعويق	المدة	نهاية التعويق
٣٧	الاثنين أول ربيع الأول ٨٥٧هـ / ١٠ مايو ١٤٥٣م	حبس	السلطان المنصور عثمان	الدوادار الكبير يشيك من مهدي والثاني وعدد من القصاد	-	لأنهم أرادوا خلع السلطان المنصور عثمان من الحكم	-	-
٣٨	الجمعة ٢٢ جمادى الأولى ٨٧٣هـ / ١٠ أكتوبر ١٤٦٨م	حبس	الدوادار الكبير والوزير	مجموعة نساء وأولادهم	مراكب في ساحل بولاق	حملة على الصعيد للقضاء على بني هلبا	-	مات عدد كبير منهم بسبب الجوع والبرد فشرع أزواجهن في قطع الطريق وأخذوا بعض مراكب الغلال القادمة من الصعيد فارتفع سعرها
٣٩	ذي القعدة ٨٩٥هـ / أكتوبر ١٤٩٠م	حبس	-	الشيخ تقي الدين بن الأوجاقي أحد شيوخ الشافعية	-	بسبب كونه وصياً للعلائي أمير على بن محمد بن محمد بن أفبغا عبد الواحد	-	-
٤٠	جمادى الأولى ٩٠٦هـ / ديسمبر ١٥٠٠م	حبس	السلطان قانصوه الغوري	طراباي	القلعة	-	ساعة واحدة	ثم بدا للسلطان ترك الأمر
٤١	١٤ رجب ٨٥٤هـ / ٢٣ أغسطس ١٤٥٠م	تأخير وتعطيل	السلطان الظاهر جقمق	أبو الخير النحاس	غزة	رفض السلطان تأخره في غزة بحجة مرضه	-	-

التعويق زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

م	السنة	المعنى	العائق	المعوق	المكان	سبب التعويق	المدة	نهاية التعويق
٤٢	٦ شعبان ١/٨٥٨هـ / أغسطس ١٤٥٤م	تأخير وتعطيل	السلطان الأشرف إينال	نفقة جماعة من أولاد الناس	-	عجز الخزانة الشريفة	-	-
٤٣	صفر ٨٧٣هـ / سبتمبر ١٤٦٨م	تأخير وتعطيل	السلطان الأشرف قايتباي	الجوامك	مصر	عجز الخزانة بسبب التجاريد المتجهة إلى سوار	-	-
٤٤	٢٠ محرم ٨٨٥هـ / أبريل ١٤٨٠م	تعطيل وتأخير	أمر السلطان الأشرف قايتباي	ركب الحج	الحجاز	حتى يزور السلطان المدينة الشريفة	يوميين	حدثت شدة للحجاج ودعوا على السلطان الأشرف قايتباي
٤٥	رمضان ٩٠٢هـ / مايو ١٤٩٧م	تأخير وتعطيل	السلطان الناصر محمد	نقيب القلعة الجديد بدمشق	تربة تتم	صدور مرسوم سلطاني باستمرار نقيب القلعة القديم	لحين مراجعة السلطان الناصر محمد	-
٤٦	ربيع الأول ٩١٨هـ / يونيو ١٥١٢م	تعطيل وتأخير	السلطان قانسوه الغوري	الجامكية	-	بسبب إنفاق الجامكية الخامسة على المماليك التراكمه وأولاد الناس	-	-

التعويق زمن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

م	السنة	المعنى	العائق	المعوق	المكان	سبب التعويق	المدة	نهاية التعويق
٤٧	٢٨ رمضان /٩١٨ ١٧ ديسمبر ١٥١٢	تعطيل وتأخير	السلطان قانصوه الغوري	الخلع	-	لأنهم كانوا في غاية السوء ويحكم النصف بسبب سفر ناظر الخاص إلى الحجاز	-	-
٤٨	شعبان ٩٢٢هـ/ سبتمبر ١٥١٦م	تعطيل وتأخير	نائب الشام جان بردي الغزالي	العسكر	الشام	لمنع وصول الأخبار لمصر	-	-
٤٩	١١ شوال ١٢/٥٧٤٦هـ يناير ١٣٤٦م	منع	المطر	الحجاج	الحجاز	نزول المطر بكثرة	أياماً	توحد الحجاج في أحوال وتزلق الكثير منهم
٥٠	٢٣ ذي الحجة ٧/٥٨٩٥هـ نوفمبر ١٤٩٠م	منع	الحمى	القاضي الشافعي	الشام	حمى منعه من السفر	-	-

يتضح لنا من الجدول السابق أن مصطلح التعويق على اختلاف معانيه ورد خمسين مرة في حوادث العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م). كان لمعنى الحبس النصيب الأكبر منها حيث ورد أربعين مرة منها إحدى عشرة مرة في العصر المملوكي البحري وتسع وعشرين مرة في العصر الجركسي بينما ورد بمعنى التأخير ثماني مرات تعود جميعاً إلى العصر الجركسي (٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨) في حين أستخدم مرتين فقط بمعنى المنع، وكلاهما يعود أيضاً للعصر الجركسي (٤٩، ٥٠).

وقد كان السلطان أو نائبه هما صاحبا سلطة إصدار الأمر بالتعويق أما التنفيذ فكان يقع على عاتق أحد موظفي الدولة. أما منفذو التعويق فكان لكل حالة شخص أو أشخاص عليهم تنفيذها فهناك سبع عشرة حالة تعويق كان القائم بعملية التنفيذ شخص واحد (١، ٢، ٣، ٥، ١٢، ١٣، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٤، ٢٧، ٣١، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠) سبع حالات منها منسوبة لسلاطين المماليك (١، ٢، ٥، ١٦، ٢٧، ٣٧، ٤٠). بينما أربع حالات كان المنفذ فيها أكثر من شخص (٢٠، ٢١، ٢٢، ٣٢). وإلى جانب ما سبق، وجدت تسع عشرة حالة تعويق مجهولة

المنفذ حيث لم يرد شيء عن اسم المنفذ أو عمله (٤، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٤ (أ/ب)، ١٥، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٩).

ووجدت أكثر حالات التعويق بمعنى الحبس في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق وبلغ مجموعها تسع حالات (١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤) يليه في ذلك السلطان الأشرف برسباي (٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥) بسبع حالات ثم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بست حالات (٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) ثم يأتي السلطان المؤيد شيخ بأربع حالات تعويق (٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨).

ولم تمدنا المصادر المملوكية بمعلومات وافية عن المدة الزمنية لحالات التعويق باستثناء بعض الحالات والتي بلغ أطولها خمس سنوات (٢) وأقصرها بلغ ساعة واحدة فقط (٤٠). هذا وقد عرف العصر المملوكي التعويق بوصفه عقوبةً منفردة أربع مرات في العصر البحري (٢، ٤، ٥، ١١) وست عشرة مرة في العصر الجركسي (١٢، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠). وفي بعض الأحيان اقترن أو تزامن التعويق بعقوبات أخرى مثل: النفي وهو ما حدث بالفعل مرة واحدة في العصر المملوكي البحري (١) وقد يتطلب الأمر أحياناً تفسير بعض الحالات مثل (٩، ٢٣، ٣٥) أو تفسيرها مع حرمانها من مناصبها فيصبح المعوق بطلاً (٣٤).

وقد كشفت المصادر المملوكية عن تعرض بعض الحالات للضرب أثناء توقيع عقوبة التعويق وكلها تعود للعصر الجركسي (١٣، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٩) وفي بعض الحالات إقترن التعويق بالضرب والترسيم أيضاً (١٣، ٢٦).

كما أزاحت الدراسة النقاب عن توقيع المصادرة في حالتين كان التعويق فيهما بهدف استخلاص الأموال، واحدة منها تعود لدولة المماليك البحرية (٣) والأخرى لدولة المماليك الجراكسة (٢٤). بينما تعرضت أربع حالات للسجن بعد التعويق، ويعود ثلاث منها للعصر المملوكي البحري (٢، ٩، ١٠) في حين تعود الحالة الرابعة للعصر الجركسي (٣٣). وفي حالة فريدة من نوعها، نرى حصول الأمير تمرباي على رضا السلطان الأشرف برسباي وأنعم عليه بتقدمة ألف بعد تعويقه ثم سافر (٣٣) وسجلت المصادر المملوكية وفاة طبيعية لحالة تعويق واحدة في سجن قلعة الجبل بعد مرور خمسة أعوام على التعويق (٢). كما شهد العصر المملوكي إحدى عشرة حالة تعويق جماعي (٣، ٧، ٩، ١٥، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٠، ٣٧، ٣٨، ٤٤) ولم يوجد ما يميز التعويق الجماعي عن التعويق الفردي إلا كون المعوقين جماعة لا أفراداً.

أما عن الأماكن التي كانت مقرراً للتعويق فقد كانت متعددة وإن كانت القلعة أكثر الأماكن التي شهدت هذه العقوبة باعتبارها مقرراً للحكم فيكون التعويق تحت نظر جميع المسؤولين إذ شهدت القلعة خمس عشرة حالة تعويق، خمس منهم في العصر المملوكي البحري (١، ٢، ٥، ٦، ٧) وعشرة حالات في العصر الجركسي (١٤ (أ/ب)، ١٦، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٤٠).

هذا وقد حددت بعض المصادر أماكن بعينها في قلعة الجبل مثل الدور السلطانية (١) أو قاعة الصاحب (١١) أو باب السلسلة (٢٢، ٢٣، ٢٤) وكذلك الأبراج (٢٩، ٣٢) أو الركابخاناه (٣٤) والإصطبل السلطاني (١٢، ١٣). أما دور الأمراء فشهدت ثلاث وقائع (٣، ١٤/ب، ٣٥) وكذلك المسجد (٤) وشهدت تربة أحد الأمراء واقعة تعويق

وحيدة بمعنى تعطيل (٤٥). وقد شهد ساحل بولاق حالة واحدة أيضاً (٣٨). بينما شهدت السجون حالة واحدة بسجن القلعة (٢) وثلاث حالات انتهت بالسجن: الأولى بسجن الإسكندرية (١٠) والثانية بسجن دمايط (٣٣) بينما لم يحدد السجن في الحالة الثالثة (٩). أما الشام، فكان بها ثماني حالات تعويق (٨، ١٠، ١٥، ١٧، ٤١، ٤٥، ٤٨، ٥٠) منهم ثلاث حالات بدمشق (١٠، ١٧، ٤٥)، وحالة واحدة في قبرص (٣١) والحبشة (٣٦) بينما شهدت الحجاز حالتين الأولى بمعنى التعطيل (٤٤) والأخرى بمعنى المنع (٤٩).

وقد تنوعت الأسباب المؤدية إلى التعويق فمنها ما هو سياسي واقتصادي واجتماعي وأمني وطبيعي. وتأتي الأسباب السياسية على رأس هذه الأسباب نتيجة لرغبة السلاطين في الانفراد بالحكم والاستحواذ عليه والقضاء على المنافسين وتصفيتهم (١)؛ أو ربما بسبب قيام فتنة ضد السلطان (١٨) أو لخلع خليفة (٢٧) أو قد يكون بهدف الإطاحة بسلطان وإقامة آخر في الحكم (٣٧) أو كوسيلة ضغط لإجبار المعوق على تنفيذ أمر سلطاني (٥، ١٩) أو لقيام الشخص المعوق بإخفاء الأمراء الفارين من قبضة السلطان (٣٤) أو ربما نما لعلم السلطان أشياء غير مرضية عن أمير من الأمراء وأكدها بعض النواب فأراد تأديبه (٢) أو لحدوث فعل هدفه تبيد هيبة السلطان مثل رقم (٩) وقد كان التعويق أيضاً عاقبة عدم الامتثال لأوامر رجال الدولة (١٣) وقد تعرض بعض الرسل للتعويق أحياناً، إذ لجأ إليها بعض السلاطين إلى هذه الوسيلة تعبيراً عن غضبهم لما ورد في رسائلهم (١٥، ٣٦). كما تزامن التعويق أحياناً مع العزل إمعاناً في تغليب العقوبة (١، ٣، ٦، ٨) وجميع الوقائع التي تزامن فيها التعويق مع العزل تعود إلى العصر المملوكي البحري.

كما قامت الدولة بإرسال إحدى التجاريد إلى الصعيد لتطبيق عقوبة التعويق على أهلها بوصفه نوعاً من أنواع بسط النفوذ وتأكيد سيطرة الدولة على كافة ربوعها (٣٨) وفي بعض الحالات، كان التعويق نتيجة لبعض السياسات العسكرية كما حدث مع السلطان الأشرف برسباي في قبرص (٣١) إذ انتهت بتعويق ملك قبرص جانوس (٣٢) حفاظاً على هيبة الدولة (٣٢) أو لكون الشخص المعوق وصياً (٣٩).

أما الدوافع الاقتصادية، فهي الحالات التي كان الباعث من وراءها استخلاص الأموال من الشخص المعوق، أو جعلت إطلاقه نظير دفع مبلغ من المال لحاجة الدولة للمال لتغطية نفقاتها (٧، ٨، ٢٨، ٢٩، ٣٠)، أو ارتبطت بالمصادرة (٣، ٢٤)، أو توقيع الحوطة مع تقرير الأموال (٢٥)، أو ربما انتقاماً من شخص عرف عنه جمعه للكثير من الأموال عن طريق قيامه ببعض المهام المكلف بها من قبل الدولة (١٧).

كما كانت الأسباب الاجتماعية سبباً في تطبيق التعويق بوصفه عقوبة ضد الجرائم الاجتماعية التي أضرت بفئة من فئات المجتمع؛ مثلما حدث مع الشيخ المتهم بالتحريض على هدم الكنائس وإشعال نار الفتنة (٤). ومن الجدير بالذكر وجود أسباب ودواعٍ أمنية اقتضت اللجوء إلى تعويق بعض الأمراء المتمردين أو بعض المسؤولين لتهدئة الرأي العام أو لامتناع غضب المماليك جراء تأخر النفقات والمستحقات المالية وكلها تعود للعصر الجركسي (٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٩). وقد كان التعويق بمعنى التعطيل والتأخير نوعاً من أنواع التدابير الأمنية لتهدئة الطريق أمام الموكب السلطاني حتى يتمكن من زيارة المدينة الشريفة أثناء موسم الحج (٤٤) وقد يكون بهدف منع وصول الأخبار أثناء الحروب (٤٨).

وتأتي الأسباب الطبيعية في ذيل قائمة أسباب التعويق وهي الحالات التي كان العائق فيها ظرف من الظروف الطبيعية التي حالت الشخص المعوق من التقدم والحركة مثل: المطر (٤٩) أو الحمي (٥٠). والمُلفت للنظر وجود

كثير من حالات التعويق التي وردت في المصادر المملوكية مجهولة الأسباب والدوافع الحقيقية من جراء تطبيقها (٧، ١١، ١٢، ١٤، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٥، ٤٠)، بينما اكتفت بالإشارة إلى تغير خاطر السلطان على الشخص المعوق، وهو ما يؤكد سيطرة الهوى الشخصي على قرارات السلطان (١٠).

كما أوضحت الدراسة أن حالات التعويق في العصر المملوكي كان إطلاقها يتم بدون إصدار مرسوم سلطاني، عكس ما هو متبع في حالات السجن، حيث توقف الإطلاق على عدة أشياء:

- دفع مبالغ مالية كما أوضحنا من قبل.
- وقوع الشفاعة من أحد رجال الدولة من أصحاب الثقل السياسي أو الاجتماعي.
- تغير خاطر السلطان وعدوله عن قراره بشأن التعويق.

هذا وقد وُجد في العصر المملوكي إطلاق لحالات التعويق إثر وقوع الشفاعة؛ وهما حالتان: إحداهما ذكر اسم صاحب الشفاعة (٢٨)، بينما اكتفى في الحالة الثانية بذكر الإفراج بعد وقوع الشفاعة دون النص على اسم شخص بعينه (٢٩). وأحيانًا يكون الإفراج نظير الشرطين معًا أي الشفاعة ودفع مبالغ مالية (٢٨، ٢٩) أو قد يكون بسبب تغير خاطر السلطان وعدوله عن قراره بالتعويق (٤٠). وفي حالات أخرى كان الإفراج مشروطًا بإكمال نفقة المماليك (٢٢). أو لحين مراجعة السلطان بشأن تعيين نقيب جديد للقلعة (٤٥). كما كان التعويق عُرفًا لجأت إليه الدولة حتى تتمكن من القبض على الأمراء مثيري الفتن ثم تطلق غير المتأمرين (١٦).

الخاتمة:

نستنتج مما سبق، أن التعويق بمعنى الحبس هو المعنى الأكثر ورودًا في المصادر المملوكية، حيث كان من العقوبات الشائعة التي عرفها العصر المملوكي، والتي تعرضت لها مختلف فئات المجتمع بدءًا من الخلفاء والسلاطين مرورًا بالأمراء والسيوخ والمماليك، والتي اختلفت عن السجن في كونها عقوبة فجائية غير محددة المدة وغير مرتبطة بمكان محدد لتوقيعها وكونها متعددة الأسباب مع إغفال بعض المصادر لأسباب بعض الوقائع. كما أوضحت الدراسة أن الأسباب السياسية كانت على رأس الأسباب التي دفعت الدولة للجوء إليه سواء أكان على سبيل الإجراءات الاحترازية أو التأديبية.

وقد أزاحت الدراسة الخلط الذي اكتنف المصطلح محل الدراسة مع غيره من المصطلحات السالبة للحرية والتي عرفها العصر المملوكي مثل (الحبس والسجن والترسيم أو الاعتقال). وقد كشفت الدراسة أن بعض السجون في العصر المملوكي استخدمت كأماكن للتعويق. ولم يرد في المصادر المملوكية أي إشارات عن وجود زي خاص للتعويق حيث كان الإطلاق من التعويق يتم دون تحرير من قيود، أو استبدال زي خاص، خلافًا لما هو متبع في حالات السجن. كذلك لم تكن هناك مكوس مفروضة على حالات التعويق على اختلاف أماكنها بعكس السجون التي فرض عليها مقرر السجن. وقد ضنت المصادر بمعلومات تتيح لنا التعرف عن كيفية قضاء المعوقين لحياتهم اليومية وهل كان هناك طعام خاص بهم أم لا؟ وهل كانت هناك كشوف تضم أسماءهم؟ وهل سمح لهم بممارسة بعض الأنشطة داخل أماكن التعويق؟

وكشفت الدراسة عن الفرق بين الحبس الاحترازي والتأديبي: فالأول يعني التحفظ للمصلحة العامة على من يتوقع حدوث ضرر بتركه ولا يستلزم منه وجود تهمة محددة، بينما استهدف الحبس التأديبي توقيع عقوبة على شخص عرفت عنه أشياء غير مرضية، ويتشابه التعويق مع الترسيم أو الاعتقال في كونهما من العقوبات السالبة

للحرية التي تعد احترازية أكثر منها تأديبية ومؤقتة حتى تثبت التحقيقات براءة المتهم أو إدانته. كما كان السلطان هو المسئول عن إصدار الأمر بهما وهذا لا يعني على الإطلاق أن أي منهما كان مرادفاً للتعويق والدليل تعرض بعض الحالات بعد تعويقها للتوسيم (١٣، ٢٦). وكشفت الدراسة عن عدم وجود حالات للهروب أثناء التعويق، مما يؤكد يقظة الدولة في تطبيق أقصى درجات الاعتقال والنجاح في إبقاء الشخص المستهدف تحت نظر الدولة. وإن كانت المصادر لم تمدنا بمعلومات عن الحراس أو القائمين على حراسة حالات التعويق. وقد أكدت الدراسة أن المكانة السياسية والاجتماعية للشخص كان لها تأثير كبير في اختيار أماكن التعويق بما يتناسب مع مكانته لذلك حرصت الدولة على إيداعه مكاناً بعيداً عن نظر العامة سواء أكانت مدارس أو دوراً لبعض الأمراء. كما يلاحظ أن حالات التعويق في أماكن غير السجون لم تطل مدتهم كما في حالات السجون ربما لكون هذه الأماكن غير مؤهلة لبقائهم فترات طويلة.

بقي أن نشير إلى أن أغلب مؤرخي العصر المملوكي أغفلوا تحديد مدة التعويق على وجه الدقة واكتفوا بالإشارة إلى تعويق الأشخاص فترات غير محددة مثل (ساعات، أيام، شهور). هذا وقد شاع لجوء الدولة إلى تطبيق التعويق إبان الفتن السياسية والأزمات الاقتصادية بوصفه نوعاً من أنواع التدابير الاحترازية دفعاً للمخاطر التي قد تؤدي بالدولة إلى الهاوية، ولكن يبدو أن الدولة قد بالغت في تطبيق تلك التدابير الاحترازية وكأنها عقوبة على جريمة لم ترتكب مما تسبب في سلب حرية كثير من الأبرياء دون وجه حق.

وقد وردت كلمة التعويق بمعنى التأخير أو التعطيل ثماني مرات تعود جميعها إلى العصر الجركسي (٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨) وقد كان المعوق أحياناً غير عاقلٍ مثل الجوامك (٤٣، ٤٦) أو تأخر الخلع لردائها (٤٧). وفي إطار هذا المعنى أي التعطيل أو التأخير تساوى في عدد حالات هذا النوع من التعويق كل من السلطان الأشرف قايتباي (٤٣، ٤٤) والسلطان الأشرف قانصوه الغوري (٤٦، ٤٧) بحالتين لكل منهما. بينما وجدت حالة واحدة لكل من السلطان الأشرف إينال (٤١) والسلطان الظاهر جقمق (٤٢) والسلطان الناصر محمد (٤٥)، وكذلك السلطان الأشرف طومنباي (٤٨). كما وردت كلمة التعويق بمعنى المنع مرتين فقط، ويعود كلاهما إلى العصر الجركسي وقد كان العائق في كلتا الحالتين ظرفاً طبيعياً مثل: المطر (٤٩) والحمى (٥٠).